المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية

قسم السياسة العامة والنظم المقارنة

سياسة العمران في الجزائر بعد الاستقلال: قراءة نقدية

المدينة الجزائرية قراءة في الوظيفة الرمزية

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة ماستر في العلوم السياسية

تخصص: سياسات عامة

اعداد الطالبة:
اشراف الأستاذ الدكتور:

هند دريد.
ياسين بولالوة.

أعضاء لجنة المناقشة

الرتبة العلمية، اسم ولقب الأستاذ	مؤسسة الانتساب	الصفة
أ.د. عبد الحميد قرفي	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	رئيساً
أ. د. ياسين بولالوة	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	مشرفاً ومقررا
أ.د. لقمان مغراوي	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	عضوا مناقشاً

2022/2021

" في انصرافي مبحرا على مركب خيالي الذي هو أسرع من الصوت والضوء. أنا، الانسان، وكل المخلوقات والكائنات، نكون جميعا حيث نحن، ولا نكون حيث نحن. نثبت بالفكر من القطب الشمالي الى القطب الجنوبي، في ومضة ذهن. ننتقل من مدينة الى أخرى، من بلد الى آخر، من وجه الى وجه، في لحظة ايماض خاطري. انما الانسان خاطر! سائح أبدي مع هذا الخاطر، وما ارتداده الى وعي ما حول جسمه، ومكان جسمه، الا ارتداد الى يقظة ينقطع فيها الحلم الذي كان يعيشه مرة أخرى، بكل تصوراته وتهاويله، في رقاده العميق! "

حنا مينة

إلى المأنوس بها لبنى، التي زادها البعد قرباً.

وإلى روح جدتي فاطمة بلجبل، سقى الله ثراها.

شكر وعرفان:

أشكر الأستاذ العزيز ياسين بولالوة، أولا على محاضراته الحاذقة المؤثرة في أيما تأثير. وثانيا، على اشرافه على هذا العمل وعلى عونه.

أشكر السادة أعضاء لجنة المناقشة: الأستاذ الكريم قرفي عبد الحميد، والأستاذ العزيز لقمان مغراوي صاحب الفضل علي.

أحب أن أشكر أيضا أساتذة المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية وخاصة الأستاذ علي لراري، على جهودهم طيلة السنوات الخمس الأخيرة.

وأخيرا، أشكر أهلي الأعزاء وأصدقائي على حبهم وعلى دعمهم إياي إذ ضاقت بي الهمة.

فهرس المحتويات	
مقدمة	**01**
الفصل الأول: السياسة العمرانية الإطار المفاهيمي والنظري	**07**
المبحث الأول: سياسة المدن مستوى التحليل الماهياتي	**07**
المطلب الأول: ماهية المدينة	**07**
المطلب الثاني: تاريخ المدينة والتمدن	**13**
المبحث الثاني: سياسة المدينة مستوى التحليل السياسي	**28**
المطلب الأول: المدينة موضوعا للسياسة	**29**
المطلب الثاني: التخطيط الحضري	**34**
المبحث الثالث: المدينة وبعدها الرمزي	**37**

المطلب الأول: من الفضاء الفيزيقي إلى الفضاء الاجتماعي والفضاء موضوعا للسلطة	38
المطلب الثاني: السيميائية الحضرية	**41**
المطلب الثالث: المشروع الاستعماري وتغريب الفضاء الاجتماعي	**45**
الفصل الثاني: المدينة والفضاء الاجتماعي في الجزائري تحقيب تاريخي	**50**
المبحث الأول: النسيج الاجتماعي والحضري في الجزائر قبل الاستعمار الفرنسي	50
المطلب الأول: النسيج الحضري قبل 1830	**52**
المطلب الثاني: النسيج الاجتماعي قبل 1830	**55**
المبحث الثاني: النسيج الاجتماعي والحضري في الجزائر أثناء الاستعمار الفرنسي	60
المطلب الأول: تقسيم الأرض وتشظي النسيج الاجتماعي	**60**
المطلب الثاني: العمارة والتخطيط الحضري	**65**
المبحث الثالث: المدينة الجزائرية وسياستها بعد الاستقلال	**70**
المطلب الأول: الديموغرافيا وحركة السكان في الجزائر بعد الاستقلال	70
المطلب الثاني: سياسة العمران والمدينة في الجزائر قبل 1987	**74**
المطلب الثالث: سياسة العمران والمدينة في الجزائر بعد 1987	**77**
الفصل الثالث: سياسة المدينة في الجزائر والوظيفة الرمزية	**82**
المطلب الأول: الإرث الاستعماري وواقع المدينة الجزائرية	82
المطلب الثاني: المدينة في الجزائر من التغريب إلى الحاضر	85
خاتمة	**98**

مقدمة

مقدمة:

تبوأت المدينة منزلة عظيمة الشأن عند الفلاسفة وأعيان الفكر وأربابه، وشكلت موضوع خطاب وتقليد فلسفي سخي: من مدينة أفلاطون، إلى مدينة الانسان ومدينة الرب الأوغسطينية، إلى مدينة شمس توماسو كامبانيلا، إلى أطلنطس الجديدة البيكونية، إلى يوتوبيا توماس مور، وهلم جراً. وان كنا اليوم قد أشحنا النظر عن اليوتوبيات، ولم نعد نفرغ الى مزاولة النظر فيها بالجدة عينها التي أغرق فيها هؤلاء وأصناؤهم، فان المدن ما زالت تعالج بالتحليل والنظر، لا تفارق أهميتها، بل لعلها ترتد إلى مجدها الذي أصابته أيام المدن الدول، كما رأى صاحب أطروحة "النظر كمدينة" وران ماغنسون*. وعوضا عن الاعتناء بالحال الذي ينبغي أن تكون عليه المدن، فإننا نبحث عما هي عليه الحين، وإلى أي حال إليها تصير، ناهجين نهجاً علميا محكما.

وقد قدمنا على المدينة في هذا البحث، من باب لعله أقل أبوابها طرقا، من باب مضمر ذي أثر عظيم: باب الرمز. ان السيميائية في الأصل مشغولة بدراسة الرموز داخل النسق الاجتماعي، بالنظر إلى كل ما في الوجود على أنه نظام علامات. أما السيميائية الحضرية فتهتم خصوصا بدراسة الرموز في الفضاء الحضري، كافة أصناف الرموز الحضرية. ان الرمز غياب وحضور في آن والفضاء دال ومدلول في آن، ووسيط للتفاعل بين ما هو طبيعي وما هو بشري، وفي الفضاء تمظهر وتمثيل للسلطة والثقافة والنظام القيمي لمجتمع ما. سنفكر في الفضاء كما فكر فيه هنري لوفابر، منتوجا منتجا، يصاغ ويصيغ، وحيزاً لتنازع جماعات مختلفة، ذوات إيديولوجيات شتى.

يمكن أن نعثر على الرغبة السلطوية في التجلي فضائيا (هتلر مع شبيير لتجسيد فضائي للعظمة المزعومة للنازية، موسوليني وستالين أيضا)، مفلتة منها مسحة المجتمعات الأرستقراطية المهذبة، لأنها لا تجلو سوى القوة والسلطة الصلفة.

أما الثقافة، ففي الكلمة مفارقة لطيفة، أبانها تيري ايجلتون.* فبالعودة إلى ايتيمولوجيتها اللاتينية، نجد أن الكلمة في الأصل مشتقة من كلمة طبيعة، ومن الفعل "فلح"، وأن أحد معانيها القديمة هي "الزراعة". تتطور اللغة بالقدر الذي يقع في المجتمع من تطور، فتنتقل معناها من "فلح" إلى "سكن". دللت الثقافة أول الأمر على عملية مادية، ثم انتقلت كما الانسان من حياة البداوة إلى حياة الحضر، إلى البعد الذي نعرفه الآن. والآن نفكر في سكان المدن كمثقفين وفي المدن كأوعية للثقافة العالية.

ستعنى دراستنا بالفضاء الحضري الجزائري، بالمدينة الجزائرية، وبسياستها العمرانية بعد الاستقلال.

* Warren Magnusson.
* Terry Eagleton

أدبيات الدراسة:

1. كتاب صورة المدينة لكيفن لينش حول كيفية أخذ المراقبين المعلومات الخاصة بأي مدينة، واستخدامها لخلق خرائط ذهنية. إذ يستنتج الكاتب فكرة أن لأي مدينة مجموعة من الصور الذهنية التي يختبرها الناس فيها، تظهر تلك الصور في معالم المدينة، مساراتها، حوافها، مقاطعاتها وعقدها. سنأخذ فكرة الخريطة الذهنية وخاصيات المدينة التي ناقشها لينش في كتابه، لنرى هل تطابقت مع المدينة الجزائرية.
2. كتاب إنتاج الفضاء لهنري لوفابر، طرح فيه فكرة أن الفضاء منتوج اجتماعي، ومنتج بدوره، إذ ينتج بفعل عوامل، التاريخ، اللغويات، العلوم المعرفية، السياسة...إلخ. يفرق بين الفضاء المصمم، المعاش، والمتصور، ويتطرق إلى العلاقات الاجتماعية، الفيزيولوجية، علاقات الانتاج والتنظيمات المحددة للأسرة، والوظائف الاجتماعية الهرمية في بناء الفضاء. نجادل في دراستنا فكرة أن الفضاء يبنى اجتماعيا، ويتأثر بعوامل الاجتماع، كما يؤثر في طرق حياة الأفراد الاجتماعية.

الإشكالية:

يعنى التحليل السياسي للمدن بقضايا المضاربة العقارية، الزحف العمراني، اللاتوازن الإقليمي او الضبط الاقتصادي او الاجتماعي او الإداري في المدينة أو نمط الحياة الحضرية، البطالة، نوعية التدريس، الإسكان وتحسين السكن وغيرها من المواضيع التي تقبع في مفترق طرق سياسات قطاعية. سياسة المدينة تشمل كل هذه الوجوه، حيث تلعب كل العوامل والسياسات القطاعية المختلفة دورا هاما، لكننا سنبحث في عامل دوره خفي ولكنه فعال، سنبحث في الوظيفة الرمزية للمدينة:

هل أخذت الوظيفة الرمزية، باعتبارها الأداة الضامنة للتمايز عن الآخر (الموروث الاستعماري) بعين الاهتمام عندما رسمت ونفذت سياسة المدينة في الجزائر بعد الاستقلال؟

الفرضيات:

- لم يتم مراعاة الوظيفة الرمزية عند رسم السياسة العمرانية في الجزائر.
- تعبر سياسة العمران في الجزائر عن استمرارية مع سياسة العمران الاستعمارية، ما يعني حضور الوظيفة الرمزية التي مارستها السياسة العمرانية الاستعمارية.
- يساهم الفضاء الحضري في الجزائر في تغريب الفرد.

اقترابات الدراسة:

- **الاقتراب النسقي:**

النظام السياسي وفقًا لديفيد إيستون نظام يشتغل وسط نسق أشمل، وهو أهم النظم لأنه يقوم بالتوزيع السلطوي للقيم. يسلط هذا التعريف الضوء على أن النظام السياسي هو أحد الأنظمة الاجتماعية. يوزع عن طريق مخرجاته: السياسات العامة القيم في المجتمع. علاوة على ذلك،

فإن مخرجاتها الرسمية ملزمة. سنعتمد عليه للبحث عن النتائج مخرجات النظام السياسي فيما يخص سياسة المدينة، اذ أن ايستون يفرق بين المخرجات التي تأتي من عمليات واعية، والنتائج التي تعتبر صدى للمخرجات، أي أنها غير مخطط لها.

- **الاقتراب الوظيفي:**

كل نظام سياسي لديه بنى وهذه البنى تؤدي وظائف معينة. يرى هذا الاقتراب إنه على الرغم من وجود اختلافات بين الدول فيما يتعلق بالبنى، فإنها تؤدي وظائف مماثلة تقريبًا. في التحليل الوظيفي، تحدد البنى المهمة ثم يحاول تتبع وظائف هذه البنى. يوجد في كل نظام سياسي بنى معينة لا يمكن الخلط بينها وبين بعضها البعض، لكن فيما يتعلق بالوظائف، فهناك قدر معين من التداخل بينها. سنعتمد في دراستنا هذه على الاقتراب الوظيفي للحصول على تصور واضح وفهم الوظيفة الرمزية التي تؤديها السياسة العمرانية.

اعتمادا على المناهج السابقة، سنحاول الإجابة عن الإشكالية المطروحة، واختبار الفرضيات في ثلاث فصول:

الأول، نأتي فيه على مفهوم المدينة، ونشأتها الأولى، ومكانها من السياسة، وفيه جلاء للبعد الرمزي للمدينة.

الثاني، نورد فيه-بإيجاز-وضع وَصِفَةَ النسيج الحضري والنسيج الاجتماعي الجزائري، ما كان قد سبق عهد الاستعمار الفرنسي، وما عاصره، وما تلاه بعد الاستقلال، ونعرض في المرحلتين الأخيرتين خاصة على الأبعاد السياسية والقانونية والمعمارية وما صاحبها من أحوال،

الثالث، نجلو فيه ما تحجبه المدينة الجزائرية من أثر على المجتمع وعلى الفرد الجزائري.

وسنتبع الخطة الآتية:

الفصل الأول: السياسة العمرانية الإطار المفاهيمي والنظري

المبحث الأول: سياسة المدن مستوى التحليل الماهياتي

- ❖ المطلب الأول: ماهية المدينة
- ❖ المطلب الثاني: تاريخ المدينة والتمدن

المبحث الثاني: سياسة المدينة مستوى التحليل السياسي

- ❖ المطلب الأول: المدينة موضوعا للسياسة
- ❖ المطلب الثاني: التخطيط الحضري

المبحث الثالث: المدينة وبعدها الرمزي

- ❖ المطلب الأول: من الفضاء الفيزيقي إلى الفضاء الاجتماعي والفضاء موضوعا للسلطة
- ❖ المطلب الثاني: السيميائية الحضرية
- ❖ المطلب الثالث: المشروع الاستعماري وتغريب الفضاء الاجتماعي

الفصل الثاني: المدينة والفضاء الاجتماعي في الجزائري تحقيب تاريخي

المبحث الأول: النسيج الاجتماعي والحضري في الجزائر قبل الاستعمار الفرنسي

- ❖ المطلب الأول: النسيج الحضري قبل 1830
- ❖ المطلب الثاني: النسيج الاجتماعي قبل 1830

المبحث الثاني: النسيج الاجتماعي والحضري في الجزائر أثناء الاستعمار الفرنسي

- ❖ المطلب الأول: تقسيم الأرض وتشظي النسيج الاجتماعي
- ❖ المطلب الثاني: العمارة والتخطيط الحضري

المبحث الثالث: المدينة الجزائرية وسياستها بعد الاستقلال

- ❖ المطلب الأول: الديموغرافيا وحركة السكان في الجزائر بعد الاستقلال
- ❖ المطلب الثاني: سياسة العمران والمدينة في الجزائر قبل 1987
- ❖ المطلب الثالث: سياسة العمران والمدينة في الجزائر بعد 1987

الفصل الثالث: سياسة المدينة في الجزائر والوظيفة الرمزية

- ❖ المطلب الأول: الإرث الاستعماري وواقع المدينة الجزائرية
- ❖ المطلب الثاني: المدينة في الجزائر من التغريب إلى التشوه

خاتمة

الفصل الأول: سياسة العمران الإطار المفاهيمي والنظري

***

المبحث الأول: سياسة المدينة مستوى التحليل الماهياتي والتاريخي

تَجَسْرنا على دراسة المدينة فوجدناها كالهيدرة* التي واجهها هرقل: كلما قطع لها رأس، نما محله اثنان. وكذلك المدينة كلما عتبنا بابا من أبوابها نزاوله بالدرس، تبدى لنا عما يضمره من منافذ للفكر، تستحق الواحدة منها الاطراق الطويل. وان كنا قد علمنا أن هرقل تجاوز مشاقه الواحدة تلو الأخرى بالظفر، فإننا ندري أننا لم نقبض على زمامها وما كان لنا ذلك، ألم تقل تيري باكو Thierry Paquot:

"المدينة ليست موضوعا يسيرا العناية به بالتحليل والوصف، [...] "المدينة دائما وفرضا متعددة [...] المدينة تطورية، ان تطورها مرتبط بتطور التنظيم الاجتماعي والسياسي الذي يسود في لحظات معينة من التاريخ البشري". [1]

المدينة حقيقة متعددة الأوجه والأبعاد، تستدعي الإحاطة بها نظرة كلانية. معالجة المسائل العمرانية والحضرية تستوجب النظر الى التنظيم الفضائي الفيزيقي، وتصور المدينة فضاء للالتقاء والاجتماع، ومحلاً للعمليات الاقتصادية، مقراً للسلطة وللصراعات السياسية، مشروعاً سياسياً، وإناءً للمشاريع السياسية.[2] تصورها كذاكرة مادية، ووعاء للثقافة، وكصاحبة روح.

المطلب الأول: ماهية المدينة

تعريف الشيء هو البحث عن جوهره، وبيان مكوناته التي تميزه والصفات التي يختص بها دون بقية الموجودات. وإذا كانت اللغة أوجب الأفعولات الوجدانية وأغور ما لدينا من مرتفعات الوجدان وأرفع ما عندنا من أغواره –على حد تعبير كمال يوسف الحاج-إذن نلج دراسة المدينة من هذه العتبة:

في لسان العرب: ***"مَدَنَ بالمكان: أَقام به. ومنه المَدِينة، وهي فَعِيلة [...]؛ وفيه قول آخر: أَنه مَفْعِلة من دِنْتُ أَي مُلِكْتُ. والمَدِينة الحِصْنُ يبنى في أُصطُمَّةِ* الأَرض. وكلُّ أَرض يبنى بها حِصْنٌ في أُصطُمَّتِها فهي مدينة."*** [3]

أما في مقاييس اللغة: ***"الدال والياء والنون أصلٌ واحد إليه يرجع فروعُه كلُّها. وهو جنسٌ من الانقياد والذُّل. فالدِّين: الطاعة، يقال دان لـه يَدِين دِيناً، إذا أَصْحَبَ وانقاد وطَاعَ. وقومٌ دِينٌ، أي مُطِيعون منقادون. [...] والمَدِينة كأنّها مَفْعلة، سمّيت بذلك لأنّها تقام فيها طاعةُ ذَوِي***

* The Lernean Hydra.

[1] Robert Spizzichino, **De La Ville En Politique**, (Paris : l'Harttaman, 2011), P. 13.

[2] Ibid., P. 15.

*معظم الشيء ومجتمعه ووسطه.

[3] الباحث العربي: قاموس عربي عربي (baheth.info)

وفي القاموس المحيط: ***"الدِّيْنُ، بالكسر: الجَزاءُ، وقد دِنْتُه، بالكسر، دَيْناً، ويُكْسَرُ، والإِسْلامُ، وقد دِنْتُ به، كالدِّيْنَة، والذُّلُّ، والداءُ، والحِسابُ، والقَهْرُ، والغَلَبَةُ، والاسْتِعْلاءُ، والسلطانُ، والمُلْكُ، والحُكْمُ، والسِّيرَةُ، والتَّدْبيرُ، [...] والمَعْصِيَةُ، والإِكْرَاهُ".***[1]

إذن كلمة مدينة يرجح اشتقاقها من أحد المصدرين، إما من مصدر مَدَنَ، أو من مصدر دين. فان سلم بالأول كانت من معنى الإقامة والبقاء، وأهل المدن يبنون الدور ليقيموا فيها دائما، عكس البدو الذين ينصبون الخيام معلنين عن الاناخة المؤقتة. أما إن ارجعناها الى الثاني أصبحت تعني المكان الذي تقام فيه الطاعة، **فالجارية مدينة أي مملوكة والعبد مدين.**[2]وهذا يحيلنا الى ازدواجية مبدئية في معنى المدينة: فالمدينة أولا مكان للإقامة والنزول الدائم، وسكان الحضر على غير عادة البدو الرحل مقيمون دائما في دورهم لا يغادرونها بحثا عن الزرع والكلأ والسماء المطيرة، والمدينة في جوهرها موطن للعملية السياسية والصراع السلطوي لا تقوم قائمتها دونها: يمكن تصور مجتمعات لا سياسية-اسأل الأنثروبولوجيا السياسية، لكن يشق تخيل مدن لا سياسية.

أما كلمة مدينة في الاغريقية "πόλις /polis"، فتشمل معنيين بفروعهما[3]:

- **"مستوطنة"**:

(أ) مترادفة مع أكروبوليس"Acropolis "، وهي مستوطنة صغيرة محصنة في مرتفع من الأرض؛

(ب) مرادفًا لمصطلح "Asty"، بمعنى مدينة؛

(ج) مرادفًا لـ "chora"، أي إقليم.[4]

- **"مجتمع"**:

- (أ) مرادفًا لـ "Politai"، المواطنين الذكور البالغين؛

(ب) مرادفًا لـ "Ekklesia" أو "Demos"، مثل مجلس المدينة أو بعض مؤسساتها السياسية الأخرى؛

(ج) مرادفًا لـ "koinonia"، المجتمع السياسي بمعنى أكثر تجريدًا. [5]

---

[1]المرجع نفسه.
[2]المرجع نفسه.
[3]

[4]Mogens Herman Hansen,**Polis An Introduction to the Ancient Greek City-State**, (New York:Oxford University Press, 2006), P. 57.

[5]Ibid.

عند سماع لفظ مدينة، فإننا نستدعي صورة ما طبع في أذهاننا على أنه مدينة (يتعلق الأمر بمسائل التجريد والعمليات الذهنية التي تنقل الظواهر والموجودات إلى المخيلة)، ربما تتداعى صور ناطحات سحاب مدينة نيويورك أو دبي، وربما نستحضر صورة لباريس وبرج إيفل، وربما نفكر في مدن أكثر "تقليدية". ولأن أشكال الفضاءات الحضرية متنوعة عبر السياقات المختلفة، فان تعريفات وتصورات الأفراد والجامعاتللمدن تختلف باختلاف المكان والزمان، انها **تعريفات ثقافية،**[1]بمعنى أنها ما يتصوره كل مجتمع على أنه "مدينة".

قبل 3000 عام في بلاد ما بين النهرين، كان سور المدينة رمزًا لعظمة المدن. وفي اليونان القديمة، وصفت أسوار المدينة بتاج المدينة،[2] وقد علمنا أي نعت وسمه أرسطوطاليس لمن استوطن خارج هذه الأسوار. أما في القرن التاسع عشر، فقد استغني عنها بالتقسيمات الإدارية، وبدلا من الأسوار، احتفت اللوحات الفنية المصورة المدن الأمريكية بأعمدة السخام المتطاولة كرمز للعظمة الصناعية والحضرية. أما اليوم فمثل هذا المشهد مستهجن لأنه يرمز للتدهور البيئي.[3]

في هذا السياق، كان على هيئة الأمم المتحدة لتطور تقريرها العالمي عن المدن والتحضر، قبول التعريف المختلف لكل دولة.* من بين 233 دولة شملتها توقعات التحضر العالمية للأمم المتحدة في عام 2018، تعتمد 104 دولة منها على معيار واحد، وتشمل هذه المعايير الفردية الوظيفة الإدارية (59 دولة)، أو حجم / كثافة السكان (37 دولة)، أو الخصائص الحضرية (8 دول).[4]

حين نفكر في المدينة فاننا نفكر أيضا في الريف. المدينة غير الريف:*__يمكن أن نُعرف المدن بتصنيف المستوطنات البشرية في سلم، اقصى طرفيه الفضاء المخطط كليا من جهة، والفضاء غير المخطط من جهة أخرى__. على أقصى الطرف الريفي الفضاءات التي لم تطلها عملية التخطيط، مثل الغابات والبيئات الصحراوية. نقيضها على أقصى الطرف الحضري من السلم الفضاءات التي خططت بالكامل، نضرب مثلا بوسط مدينة شيكاغو التي خطط كل شبر فيها تقريبًا، بما في ذلك الحدائق العامة مثل حديقة "Grant Park".بين هذين الحدين المتطرفين توجد الغالبية العظمى من الفضاءات التي يعيش فيها الناس.[5]

[1]Madeleine Pill**, Governing Cities Politics and Policy**, (Switzerland : Palgrave Macmillan, 2021), P. 10.

[2]Hansen, op.cit., P.98.

[3]Dallas Rogers (Ed), **Understanding urbanism,** (Editors Palgrave Macmillan, 2020), P. 30.

*جاء في تقرير الأمم المتحدة: ***" يوجد حاليًا العديد من التعريفات المتنوعة، التي تختلف باختلاف البلدان والمناطق. تتراوح هذه التعريفات بين تلك التي تستخدم معيارًا واحدًا (مثل عتبة السكان) إلى تلك التي تستخدم مزيجًا من المعايير (مثل مزيج الكثافة السكانية، والترسيم الإداري، والوظيفة الاقتصادية، إلخ)"** .انظر،

What is a city? UN Habitat for a better urban future.

[4]What is a city? UN Habitat for a better urban future.03.

*لذلك يأتي مصطلح "ترييف المدينة" بشحنة مستهجنة في دراسات الاجتماع الحضري، لأن المدينة حين "تتريف" لا تبقى مدينة ولا تعود ريفا، فتختلط فيها الثقافتان الحضرية والريفية، مما يؤدي اجتماعيا إلى نتائج غير مستحبة.

[5]Pill, op.cit., P. 10.

- **المدينة مقابل الريف/المعيار الوظيفي:**

يختلف الريف عن المدينة في أمور شتى،* وخاصة في التخصص الوظيفي. تستفرد الأرياف بالزراعة وتنصرف المدن إلى التصنيع والتجارة وغيرها من النشاطات الاقتصادية. في الأصل حال النطاق المحدود للمدينة دون إمكان إطعام العدد الكبير من سكانها من داخل المدينة،[1] لاسيما أن العدد الكبير يعني استغلال الأراضي لبناء منازل على حساب الأراضي الزراعية. لذا يعتمد سكان الحضر على الريف لمدهم بالموارد الزراعية. الريف غير المدينة، لكن العلاقة بينهما تكاملية ان اختلت وصلت المشاكل التي تثيرها إلى رتبة قضايا السياسة العامة.

لكن ثنائية ريف/مدينة لم تعد صالحة كما كانت من قبل. ألم نقل أن المدينة تطورية؟ ان التقسيم الوظيفي بين الريف والحضر على أساس اختصاص الريف دون الحضر بالوظيفة الزراعية يتجه إلى التلاشي، نضرب مثلا بالزراعة الرأسية في المدن.*

- **المعيار الديموغرافي:**

تتكون المدينة من مجموعات ذات كثافة عالية من الناس مقيمين في مساحات محددة من الأراضي. المعيار الديموغرافي هو الأكثر رواجا. لكن الاكتفاء به يعرضنا إلى مشاكل: ان رضينا بالمعيار الديموغرافي فأي حد يكون ما دونه غير المدينة وما فوقه مدينة؟ مدينة بينجين الصينية* بلغ تعداد سكانها عام 2019عشرين مليون نسمة،[2] وهو رقم قريب من تعداد سكان الجزائر كاملة سنة 1980.[3]كما كانت مساحة أصغر دول المدن اليونانية القديمة حوالي 10 كيلومترات مربعة وعدد سكانها في بعض الأحيان أقل من 1000 نسمة.

*وفقًا لماكس فيبر، المدينة مستوطنة ذات نواة تكون فيها المنازل قريبة جدًا من بعضها البعض تكون في كثير من الأحيان متلاصقة، وحيث السكان غير قادرين على معرفة بعضهم البعض كما في القرى. للمدينة إقليم وحكم ذاتي محلي مع الخصائص التالية: (1) المدينة محمية بالأسوار؛ (2) لها سوق. (3) لها قوانينها الخاصة التي تُدار في محاكمها؛ (4) لها مؤسساتها السياسية الخاصة؛ و (5) مستقلة، على الأقل استقلالًا محليًا. بالنسبة للعلاقة بين المدينة والمناطق النائية، يميز فيبر مدينة العصور القديمة، حيث كانت نسبة كبيرة من المواطنين مزارعين يعيشون في المدينة ولكنهم يخرجون يوميًا للعمل في حقولهم في المناطق النائية، ومدينة العصور الوسطى حيث كان هناك تمييز أكثر وضوحا بين سكان الأرض، من المزارعين، وسكان المدينة، الذين كان يهيمن عليهم الحرفيون والتجار. للمزيد من تصور ماكس فيبر للمدينة ونقد نموذجه انظر الفصل 14:

Polis An Introduction to the Ancient Greek City-State. MOGENS HERMAN HANSEN. Oxford University Press. New York. First published 2006. pp 85-97.

[1]Pill, op.cit., P. 10.

*الزراعية الرأسية أو العمودية، أو مزارع ناطحات السحاب: ممارسة الزراعة في طبقات مكدسة رأسيا/عموديا داخل البنايات.

*Beijing.

[2]Beijing Population 2022 (Demographics, Maps, Graphs) (worldpopulationreview.com)

[3]Algeria Population 2022 (Demographics, Maps, Graphs) (worldpopulationreview.com)

اختيار نقطة سكانية يكون فوقها "مدينة" وما دونها ليس كذلك قاصر إلى حد ما: هل الفضاء الحضري الذي يبلغ عدد سكانه 50.000 نسمة مدينة والذي عدد سكانه 49.999نسمة ليس مدينة؟[1] من أجل دراسة المدن، من الضروري أيضًا إضافة معايير أخرى.

- **المعيار الثقافي:**

بحث بيتر هول*عن سبب اتقاد الشعلة الإبداعية بشكل خاص في المدن لا الريف في كتابه **"مدن في الحضارة".** بعد بمسح تاريخي للمدن، انتهى الى ان المدن محركات الإبداع البشري لا بسبب المساحة أو الثروة أو القوة السياسية فقط، ولكن –وهو الأهم-لأنها منفتحة: **"منفتحة على الأفكار الجديدة، ومنفتحة على المهاجرين: على أساليب الحياة المختلفة".**[2] يرى لويس مومفورد أن المدن هي: "نقطة أقصى تركيز لقوة وثقافة المجتمع."[3]

عكس الريف لا يمكن لسكان المدينة أن يتكونوا فقط من أفراد العشيرة الممتدة أو عدد من الجيران الذين يعرفون بعضهم. بل هم مجموعة من الغرباء. تشمل هذه الكثافة السكانية بالضرورة أفرادًا من جميع الطبقات، يأتون من أماكن مختلفة بعادات مختلفة، وأحيانًا غاية في الاختلاف.* بسبب القرب في المدينة، يتعذر تجنب التفاعل مع هؤلاء الغرباء المختلفين اجتماعيا وثقافيا. لذا المدينة في جوهرها فضاء لتجمع سكان غير متجانسين ثقافيًا.[4]

- **المعيار الإداري:**

النظام الإداري أيضا يحدد ما يعتبر مدينة.** حدود المدينة تحددها اللوائح الحكومية.[5]

- **المدن أيضًا أنظمة معقدة تتفاعل ضمن نسق كلي:***

المدن ليست مجرد بنيتها المادية أو أراضيها المحدودة، انها **تمظهر فضائي لعمليات اقتصادية واجتماعية وسياسية أوسع تؤثر عليها وتساهم فيها المدن.** يعتني علم الاجتماع الحضري

---

*"Peter Hall" مخطط عمراني وعالم حضر رائد وجغرافي انجليزي.

[2]CULTURAL POLICY. David Bell and Kate Oakley. Routledge. 2015. New York.P.77

[3]Defining the City – Radius Global Cities Network

*يحيلنا هذا إلى دوركايم ومفاهيمه عن المجتمع العضوي والمجتمع الميكانيكي.

[4]Kevin Archer, **The city : The Basics**, (Routledge, 2013), P.3.

**هذه النقطة تدحض تسليم البعض أن المدن لا بد أن تكون نتاج التطور التاريخي حصرا. المدن الجديدة –كما يدل اسمها- مدن دون تاريخ، المراسيم الرئاسية كفيلة برفع منطقة الى درجة المدينة أو إنشاء مدينة من العدم.

[5]M. GOTTDIENER and LESLIE BUDD, **Key Concepts in Urban Studies**, (SAGE Publications, 2005), PP. 4-5.

*في الواقع، لطالما تفاعلت المدن داخل نسق.في المدن القديمة لطالما كان الناس يتبادلون السلع والثقافات. في النظام العالمي الحالي على رأسالترتيب الهرمي للمدن العالمية "الثلاثة الكبار": نيويورك ولندن وطوكيو. هناك أيضًا مدن ذات أهمية وطنية أو إقليمية، ومدن أخرى متدرجة في التسلسل الهرمي. يعرض هذا التسلسل الهرمي للأماكن مع النظام العالمي يعتمد على الدرجة الاقتصادية. إذن يتفاعل المستخدمون مع بعضهم ومع المحيط المادي للمدينة، وتتفاعل المدن في السياقات الوطنية مع بعضها، وأخيرا تتفاعل المدن في السياق الدولي.

بالتفاعل بين الإنسان والبيئة، فالأفراد يبنون المدن لتحقيق أغراض معينة، وبمجرد أن يتم بناء المدن، فإنها تؤثر على كيفية عيشهم فيها.[1]

قبل المضي في البحث، يجب أن نعرج على مسألتين:

الأولى أننا سنعتمد على تعريف ماوية سعيدوني لتخطيط المدن لمرافقتنا في هذا البحث: ***"[التخطيط الحضري] [هو] المنتظم المعرفي النظري والتطبيقي المعني بتنظيم المدن. الذي ينظم العلاقات بين مختلف الفاعلين، ويحافظ على المصلحة العامة، وينظم استغلال الأراضي، ويحدد شروط البناء ويهتم بالتحضر في المستقبل".***[2]

والثانية أن مفهوم "مدينة" سيوظف للدلالة على أصناف الفضاءات الحضرية كافة.

في الحقيقة الكثير يحاججون أن مصطلح مدينة مفرط الاستخدام وغير دقيق.* إن فضاءات حضرية مثل نيويورك ولوس انجلس ليست مدنا بل **مناطق حضرية متعددة المراكز.***فيها يوزع وسط المدينة الأصلي وظائفه على مراكز أخرى ليصير لكل منها تخصصً وظيفيً. وهكذا نصل إلى المناطق الحضرية الآن في العديد من الدول مراكز متعددة*.لا ينبغي إغفال أن النواة الحضرية الأصلية لم تعد تحتفظ بمركزيتها السابقة في سياقات عدة في العالم. معظم التحليلات الحضرية أصبحت الآن قديمة بسبب الفشل في التعرف على تحول الفضاءات الحضرية إلى الشكل الجديد متعددة المراكز.[3]

في الأخير، يجب ألا ننسى قول تيري بيكو، ان المدينة تطورية. بالفعل، **المدن تتطور مع تتطور الاقتصاد والمجتمع،**[4] وتتحول بقدر ما يقع من تحول في التقنية، وسنأتي على ذكر هذا في المبحث الآتي.

المطلب الثاني: تاريخ التمدن والمدينة

بعدما جلونا ماهية المدينة، ننصرف الآن الى تتبع سفر تكوينها. تطورت المدن وفقًا لقوانين طبيعية تتعلق بالموقع والمناخ ودواعي الدفاع، وأدت العوامل الوظيفية والاقتصادية والسياسية

[1]Archer, op.cit., PP. 2-3

[2]MaouiaSaidouni, **Eléments d'introduction à l'urbanisme (histoire, méthodologie, réglementation),** (Alger : Casbah éditions, 2000), P. 15.

*هناك من يدعو إلىاستخدام مفهوم "المدينة" للإشارة الى "مركز المدينة" فقط، أي المكان الذي تتركز فيه الأنشطة الاقتصادية والثقافية.

*urbanizedmulticenteredmetropolitanregions

*تنمو المنطقة الحضرية متعددة المراكز من خلال عمليتين مزدوجتين من اللامركزية وإعادة المركزية. اللامركزية تعني نقل عدد من الأشخاص والأنشطة من المدينة التقليدية. فينفس الوقت الذي تحدث فيه اللامركزية، تحدث أيضًا عملية إعادة المركزية. ويُقصد بها إعادة تشكيل وتركز الأنشطة والأشخاص في مساحات محددة.

[3]Ibid.

[4]Pill, op.cit., P. 11.

والدينية إلى تعقيد هائل في المدن وكيفية تطورها: كيف ظهرت المدينة وكيف بلغت مبلغها الحالي؟ هل كانت المدن مذ كان الانسان؟ هل تسبق الدولة المدينة أم المدينة الدولة؟

في البدء كانت الثورة الزراعية الأولى -حوالي 8000 ق.م-وكان التحول من الصيد الى الزراعة والرعي فيما اصطلح عليه بالعصر الحجري الحديث (Neolithicperiod) في الشرق الأدنى ما بين آسيا الصغرى وبلاد الرافدين. وتحول جمهور البشر الى الاستيطان النووي بعد الشتات، وكان ذلك في القرى ثم في المدن.** وجعلت البنى الاجتماعية تتحول الى مؤسسات متماسكة، بدءً بالقبيلة وصولا الى الدولة وكان كذلك. نتج عن الاستيطان في القرى والبلدات الحاجة إلى تنظيم السلوك الاجتماعي للناس،[1] فكان التنظيم السياسي، وكانت تحكم المجتمعات القبلية المبكرة-عادةً-مجالس القبيلة وشيوخ الجماعة وفي بعض الحالات زعماء القبائل وكان كذلك.

يمكن اقتفاء تاريخ وأثر الثورة الزراعية الأولى والاستيطان في القرى والمدن بقدر ما تتيح تلك الفترة من آثار: من الماعون وعظام الحيوانات وأطلال البيئة المبنية وهلم جراً، وهي شحيحة الإفصاح عما كان، لذلك ننتظر ظهور الكتابة لاحقا للحصول على دراية أغزر بالبنى الاجتماعية وأصناف التنظيم السياسي. وبهذا تصبح أقدم حضارتين يمكننا أن نقطع بظهور الدول فيهما حضارتا بلاد ما بين النهرين ومصر القديمة، حيث تزودنا الوثائق المسمارية (حوالي 3200 قبل الميلاد) والهيروغليفية (حوالي 3000 قبل الميلاد) بصورة وافية عن شكل هذه المجتمعات[2].

أدت الزراعة إلى إنشاء مستوطنات ثابتة وإلى زيادة في الكثافة السكانية خلفت بدورها إمكانية التحضر وظهور المدن. لكن ما العلاقة بين الزراعة والتحضر وخلق المدن والدول؟ أويمكن أن نجد مجتمعات دون مدن ودول، أو دول دون مدن، أو مدن دون دول؟

هناك شواهد لحضارات لم تعرف أي زراعة أو تحضر أو تشكيل دولة (مثل قبائل الهنود في أمريكا الشمالية وعدد من المجتمعات البدوية**). يمكن أيضًا أن نضرب أمثلة عن دول لا مدن فيها (الدول السبع الأنجلو ساكسونية في إنجلترا بين 500 و700 ميلادي)، ومجتمعات مع مدن ولكن دون دولة (مثل شعب الياكو في نيجيريا حتى بداية القرن العشرين). ومع ذلك، فإن

**نشأت المدن حيث كان البشر قادرين على إنتاج فائض زراعي فوق احتياجات الكفاف. وهكذا،ظهرت المدن للمرة الأولى في البيئات النهرية الخصبة شمال إفريقيا والشرق الأوسط وآسيا وأمريكا الوسطى. ولهذا السبب توصف هذه المناطق بمهد الحضارة الإنسانية: مع تزايد أعداد سكان المدن زادتالإنجازات الثقافية.أنظر، The city : the basics, Kevin Archer, 2013, Routledge

[1]Hansen, op.cit., P7.

[2]Ibid., P8.

** هناك قبائل في آسيا وأستراليا وأمريكا الجنوبية تملك الموارد التي تسمح لها ببناء بيوت، لكنها لا تستقر في مأوى، قبائل الياغان في أمريكا الجنوبية مثلا.

معظم البشر في أكبر عدد من الحضارات المعروفة استقروا بصفة دائمة في مستوطنات ضمن دول: غالبا كمزارعين يعيشون في مناطق متفرقة أو في قرى، وأحيانا في مدن.[1]

يرتبط التمدن ارتباطًا غليظا بنمو الدول، وتحدث العمليتان عادة في إطار زمني يشير إلى العلاقة الوثيقة، فبينما يستغرق المجتمع الزراعي زمنا بعيدا لينتقل إلى الدولة والتحضر، فإن الزمن بين تشكيل الدول وتكوين المدن قريب نسبيا، بل عادة ما تتزامن الظاهرتان وتؤثر كل منهما على الأخرى.[2] وفي هذا السياق نستحضر دولة المدينة:

في حين تغطي الدولة مساحات مترامية الأطراف، بوجود العديد من المدن على أراضيها، تتكون دولة المدينة من مركز حضري زيادة على ما يحيط به من مناطق.الحكومة شديدة المركزية والمؤسسية: كانت العديد من دول المدن ذات نظام حكم جمهوري كدول-مدن إيطالية وسويسرية في العصور "الوسطى"، وكانت بعض منها ديمقراطيات-كأثينا في العصور القديمة. تتميز دولة المدينة بمستوى أعلى بكثير من التحضر من أي مجتمع آخر في فترة ما قبل الصناعة. في دول المدن الأصغر، غالبًا ما يعيش ما بين 50٪ و90٪ من السكان داخل أسوار المدينة.[3]

يميز موقانز هرمان هانسن بين دولة المدينة و"ثقافة الدولة-المدينة ": تنشأ ثقافة المدينة-الدولة في منطقة يسكنها أشخاص يلغون لغة واحدة، ويدينون بدين واحد، ولهم ثقافة وتقاليد واحدة، غير أنهم منقسمون سياسيًا إلى عدد كبير من الوحدات الصغيرة، كل منها تتكون من مركز حضري والمناطق المحيطة به. قال هيرودوتس أن هناك أربعة أشياء ربطت اليونان ببعضهم البعض: الأصل، واللغة، والأماكن المقدسة والطوائف، والعادات والتقاليد.

عندما يتقدم تَكَون الدولة تشكل المدينة تنشأ "دولة-قطر"، في حين أن دولة-المدينة وثقافات دولة المدينة تظهر عندما تأتي المدن قبل ظهور الدول أو بالتزامن.*فمثلا نشأت المدن في بلاد ما بين النهرين –على الاغلب-قبل زمن من ظهور دولة حقيقية. وفي مصر القديمة، لم نجد المدن التي تشبه ما كان في بلاد ما بين النهرين إلا في عصر الأسرات. وفي "العصور الوسطى" في إنجلترا بعد الهجرة الأنجلوساكسونية في عصر الفايكنج، نشأت الدولة حيث كانت القرية الشكل الوحيد المعروف للاستيطان النووي، ولم تظهر المدن إلا لاحقا مع النظام

[1] Ibid.

* أقدم الأمثلة المعروفة هي دول المدن السومرية في بلاد ما بين النهرين حوالي 3100 قبل الميلاد. وأشهرها أثينا في العصور القديمة، والبندقية حتى عام 1797، وأحدثها دولة مدينةدانزيغفي الفترة التي تتوسط الحربين العالميتين، وأندوراحتى هذا اليوم.

[2] Ibid., P9.

الملكي. على العكس من ذلك، نشأت المدن في هولندا وإيطاليا باكراً ولما تَصِرْ دولا (دولة-إقليم) حتى بَعُدَ الزمن.[1]

ولكن لماذا قاد التحضر حينا إلى إنشاء مدن داخل دول، وحينا إلى إنشاء دول-مدن، وحينا آخر إلى ظهور ثقافة دول-مدن؟ يقول جان بيار أن المدن تاريخيًا وقعت على طول المسارات التجارية أو حيث أملت حاجة الأمن تركيز منشآت دفاعية. وفي وقت لاحق نشأت المدن حيث وجدت مواقع ملائمة للصناعة بالقرب من مواقع استغلال الموارد الطبيعية. وبالتالي-وعلى عكس معظم الدول القومية-فإن **أصل المدن ليس اثنيا أو ثقافيًا أو جغرافيًا ولكنه اقتصادي في الغالب.**[2] ورغم أن العوامل الجيوسياسية أو الاقتصادية ذوات أثر عظيم، إلا أنه لا يجب الاكتفاء بهما، لأن من يرجو تفسيرا عاما للظواهر ينبغي عليه بحث اقتران عوامل شتى وترك السببية الأحادية.[3]*

بالعودة الى تنظيم الفضاء في هذه المدن، فإن هذه المجتمعات أنتجت فضاءات حضرية تمظهر فيها **التماسك الاجتماعي والثقافي.** تنضوي مجموعة المستوطنات الحضرية هذه -السابق ظهورها النهضة الأوروبية والثورة الصناعية-تحت مسميات المدن العتيقة أو التقليدية أو القديمة. يمنع التطور البطيء طوال قرون والتقاليد الراسخة التطورات الباغتة والثورات

[1]Mogens. Op.cit., P. 9.

[2]Jon Pierre, Palgrave Macmillan,**The Politics of Urban Governance**, (2011), P. 13.

[3]Hansen, op.cit., P23.

* وهكذا يعدد موغانس هانسن مجموعة عوامل:

1. **العامل الجيوسياسي**: ثقافات دول المدن تنشأ غالبًا في المناطق التي تتصرف فيها التضاريس كحد فاصل بين دولة مدينة ودولة مدينة، ما يحول بينها وبين الالتئام والتحول إلى دولة واحدة، كالوديان والهضاب الصغيرة مثل الجيوب التي تفصل بين الجبال. مثل هذا التفسير يناسب، على سبيل المثال، دول المدن السورية واليونانية ودول-مدن الملايو، حيث قسم عدد من المدن الساحلية غابة من العسير اختراقها. ولكن نجد أن ثقافة دولة-المدينة السومرية نشأت في الجنوب من بلاد ما بين النهرين، وهي مسطحة. وقام المزابيون بتحويل واحة كبيرة إلى خمس دول-مدن، على الرغم من أن الوضع الجيوفيزيائي كان قادرا على توحيد الواحة بأكملها في وحدة سياسية واحدة.
2. **العامل الاقتصادي**: إما أن تزدهر وتتوسع المدن التي تمر وتتنزل بها القوافل التجارية (كعدد من المدن على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية من بينها مكة)، أو تنشأ المدن على مسالك القوافل (مثل طريق القوافل من بلاد ما بين النهرين إلى عدن، أو مدن دلتا النيجر، التي نشأت في القرن السادس عشر مرتبطة بتجارة الرقيق في المحيط الأطلسي، أو مدن طريق "طريق الحرير").
3. **التثاقف**: توجد علاقات وثيقة بين ثقافات دول-المدن في الشرق الأدنى وجنوب أوروبا وشرق آسيا وغرب إفريقيا وأمريكا الوسطى. داخل كل من المناطق الأربع، ساعد التثاقف على إنشاء دول المدن الأصغر. على سبيل المثال، يُزعم أن الإغريق لم يستوحوا أبجديتهم من الفينيقيين فحسب، بل مفهوم الدولة-المدينة أيضًا؛ وبنفس المنوال يمكن افتراض أن إنشاء دول المدن في جنوب إيطاليا وصقلية، كان تأثراً بدول المدن اليونانية.
4. **الأيلولة**: في العديد من الحالات تظهر ثقافة الدولة-المدينة بعد انهيار دولة حضرية تنقسم إلى عدد كبير من دول-المدن. مثلا، بعد تفكك سلالة زو في سنة 771 قبل الميلاد، انقسمت الصين الوسطى لفترة (481-771 قبل الميلاد) إلى أكثر من 200 دولة-مدينة. كذلك، عند وفاة لويس الثاني عام 875 للميلاد، مكن شغور السلطة في شمال إيطاليا من ظهور دول المدن في شمال إيطاليا. وفي سويسرا، نشأت دول المدن بعد زوال سلالة زاهرينجر عام 1218.
5. **التعاقب في منطقة واحدة**: اختفت دول المدن السومرية عندما غزا سرجون الأكادي جنوب بلاد ما بين النهرين حوالي 2350 قبل الميلاد، لكنها ظهرت مرة أخرى ثلاث مرات أخرى: عندما انهارت آشور حوالي 2250، وبعد السلالة الثالثة في أور في عام 2000 قبل الميلاد، ومرة أخرى بعد نهاية الملكية الكيشية حوالي 1100 قبل الميلاد).
6. **الدفاع**: "دول-الاقليم" تشن حروبًا ضد بعضها لكن لديها أمن داخلي نسبي. أما ثقافات الدولة-المدينة فقد تشن أحيانًا دول-المدن ذات الثقافة الوحدة حروبًا ضد دول-الاقليم المتاخمة لها، ولكن في نفس الوقت تعاني من حروب مستمرة مع دول-مدن أخرى.

الفكرية والتمزقات المكانية. وتحفظ استطالة الزمان الوحدة الشكلية* للتجمع الحضري،[1] وهي ليست ابنة مخطط نموذجي واع. لقد افلتت المدينة العتيقة من عقائد التخطيط العمراني، فأنماط الفضاءات الحضرية تمليها حاجات الجماعة وثقافتها وتنبثق من الموروث المحلي والتقليد ويتولى عملية التعمير بناؤون أولو معارف. **إن الشوارع والأزقة مثلا، مسالك فعلية أحدثها طرقها لا التخطيط الواع. وكذلك تقسم الأراضي حسبما يمليه العرف والتقليد والارث.[2]

إن انسجام وأصالة الاشكال التقليدية يُدَلِل على الانسجام الاجتماعي الذي يتجلى في الممارسات والمعتقدات وأنماط العيش والتعبيرات الثقافية المشتركة.

قلنا أن البنية المادية الحضرية تعكس البنية الاجتماعية، ونعلم أن أكثر الشخوص نفوذا في المدن القديمة رجال الدين و رجال السياسة. تعكس البنية المادية هذه الرمزية الاجتماعية، فنجد أن أعظم المباني حجما وبهرجاً كانت إما دور العبادة أو أَحِلَّة النخب الحاكمة، وتبنى في مركز المدينة أو المناطق البارزة كالمرتفعات. وفي المقابل تحيط بهذه المعالم بيوت الطبقات الدنيا.[3]

فهمنا مما سبق ذكره، ان وجود المدن يدل على وقوع تقسيم عمل مكاني، نتيجة اختصاص البعض (أهل الريف) بالعمل في الحقول، وانصراف آخرين (قاطنة المدن) إلى ما عدا ذلك من الأعمال، لأن نمو المدن يعتمد على قدرة المجتمع على إنتاج فائض زراعي يفوق احتياجات المعيشة اليومية.[4] عملت النخب التي حكمت المدينة على السيطرة على إنتاج وتوزيع الفائض الزراعي. ولاحتكار فائض إنتاج المزارعين، وظفت المفاهيم الدينية أو الضرائب. وفي كل الأحوال إما أن يقتنع المزارعون أو يجبروا على التخلي عن فائضهم مقابل الخدمات الدينية والسياسية. ومع ذلك فإن الضغط على المزارعين له حدود-تعيها النخبة السياسية-قد يقود تجاوزها إلى ثورات اجتماعية، لذا تتجه إلى التوسع باحتلال أراض جديدة وإخضاع أهلها أيضا. [5]

العامل الاقتصادي يفسر سبب تفاوت الغنى الحضاري بين المجتمعات. إننا نعد الحضارات الصينية والفارسية والرومانية "عظيمة" لأنها كانت غنية بالابتكارات في مجالات اللغة

*يدلل عليها **الانغلاق**-بفضل سور دفاعي يرسم الحدود بين فضاء داخلي محدود ومنسجم مقابل فضاء خارجي غير متناهٍ وعدواني.
و**فن العمارة**: تشابه البنايات (مواد البناء غالبا ما تكون من جنس واحد مستخرجة من المنطقة)،فرجات الأبواب والنوافذ وحتى السقوف ذوات رسوم مشابهة. رغم أنه لا يوجد شكل مستنسخ بالكامل عكس النماذج الحالية. ولهذا السبب لا تشابه المدن التقليدية بعضها، لأن الثقافات والمواقع والمناخات تملي أنماطها العمرانية وهي تختلف.

[1]Saidouni, op.cit.,PP 30-31.

صنعة الحرفيين البنائيين تكتسب بفضل الدربة وتعلم حلول نموذجية للمشكلات العملية، ينتج البناؤون أولو المعارف كل مرة تركيبة جديدة من الأبواب والسواكف والعتبات والنوافذ والشرفات وهلم جراً؛ والعناصر تتشابه لكنها لا تتطابق. إن العقد المبرم بين البناء والمستعمل لا يحدد الا نوع المنتوج وحجمه ووظائفه، ولا يخوض في شكل البناء. هنا، **المعارف والمهارات لا يفصل بينها وبين العمل اليدوي، عكس ما سيحصل لاحقا.

[2]Ibid., P32.
[3]Archer, op.cit., PP 12-13.
[4]Ibid., P. 12.
[5]Ibid., PP 13- 14.

والحساب والعلوم والهندسة المعمارية والفن والتاريخ والفلسفة وهلم جراً. تنسب هذه الابتكارات إلى سكان المدن الذين ليس عليهم الكدح في الحقول الزراعية، الذين يفرغون إلى عالم الفكر الذي إلى إثراء الحضارة.[1] ومع ذلك يجب ألا نصدق أن جميع سكان المدن نعموا بالراحة والرفاهية.*

عاش سواد أهل المدن من العوام وكدحوا على مقربة من النخب، ما جعلهم تهديدًا لنخب المدينة. لذلك كان واجبا "إرضاء" هذه الأغلبية للاستبقاء على العلاقات الاجتماعية كما هي. وتم ذلك إما عن طريق القوة والبطش، أو بوسائل "لينة". شاع في مدن الإمبراطورية الرومانية أسلوب يعرف بـ"الخبز والسيرك"** أي توفير الطعام الرخيص والترفيه للعامة: **"[الخبز والسيرك] *منح سكان المدينة إحساسًا بالاستحقاق كأعضاء شرعيين في المدينة، وصرف انتباههم بعيدًا عن عجزهم داخلها*."**[2] تُوقيَت هذه الأخطار كذلك من خلال الفصل المكاني وتنظيم النشاط غير النخبوي، خاصة التجاري. وبهذا استمرت الخصائص الاجتماعية لحياة المدينة التقليدية عدة قرون. [3]

بحلول عام 300 م، كانت الإمبراطورية الرومانية قد انقسمت إلى شق غربي، تحكمه مدينة روما، وشق شرقي، تحكمه مدينة بيزنطة. وبينما استمرت الإمبراطورية الشرقية في التمتع باستقرار اجتماعي وسياسي واقتصادي نسبي، كانت الإمبراطورية الغربية محاصرة بتهديدات خارجية، وفي الوقت عينه كان عوام المدن ساخطين على أوضاعهم، وبتفاقم التهديدات انسحبت النخب التقليدية إلى الريف حيث مصادر ثروتهم وقوتهم.* ومع استمرار مهاجمة المدن واجتياحها من قبل غير الرومان، فر العديد من سكان المدن إلى الريف أيضًا.[4] وهكذا بدأ إضفاء الطابع الريفي على الإمبراطورية الغربية، وانخفض عدد المدن بشكل كبير** خلال هذه المدة ولقرون آتية فيما يعرف بالعصور الوسطى الغربية (حوالي 500 إلى 1250). وهكذا

---

[1] Ibid., P.14.

*سوادهم حرفيون وتجار وأفراد من الجيش منخفضو الرتب، من الأحرار أو الرقيق، خدموا النخبة الحضرية.

** bread and circus.

[2] Ibid., P.16.

[3] Ibid., P. 17.

*كانت القوة في هذه المجتمعات تأتي من الوراثة وملكية الأرض التي تعتبر مصدر الثروة. لذا كان السلوك الشائع للتجار- بمجرد تحقيقهم لمستوى معين من النجاح في تجارتهم-وحتى أثناء الفترة المركنتيلية(حوالي 1250 إلى 1750) السعي إلى الحصول على ملكية الأراضي وبالتالي الحصول على وضع اجتماعي أعلى. أنظر، The city : the basics, Kevin Archer, 2013, Routledge 14-15

[4] Ibid., PP. 17-18.

** بحلول عام 1000 ميلادي، كان عدد سكان روما (التي كانت آنذاك أكبر مدينة في أوروبا الكاثوليكية) حوالي 25.000 نسمة فقط-وقد بلغ عدد سكانها 150.000 نسمة أو نحو ذلك عام 150 ميلادي-. في نفس الوقت الذي كان عدد سكان قرطبة في الأندلس يصل إلى 200.000 نسمة. ص 19-20

فقد المجتمع الأوروبي المدن التي خلقت عمقًا للحضارة. كانت "العصور المظلمة" مظلمة بسبب خسارة الغرب النسبية للمدن وسكانها.[1]

في هذه "العصور المظلمة' كانت الغالبية الناس تعيش في قرى أو بلدات صغيرة، حول قصر أو قلعة مالك الأرض، منشغلين بالكدح في الحقول الزراعية لكسب قوتهم ودفع مبالغ الإيجار المستحقة لأصحاب الأرض التي يعملون فيها. يسحب أي فائض زراعي إضافي من قبل مالك الأرض كإيجار. لم تكن هناك سلطة جيوسياسية أكبر وأكثر مركزية يمكنها أن تسحب الفائض وتفرض سلامًا نسبيًا داخليا.[2]

ظلت الكنيسة الكاثوليكية محتفظة بنفوذها، كانت تهيمن على حياة المدينة التي صمدت. عكست البنية المبنية لهذه المدن ذلك، بوجود الكاتدرائيات في المناطق المركزية التي تعمل كسلطة إدارية وطقوسية.[3]

بحلول نهاية هذه الفترة (حوالي 1000 إلى 1250) انتشرت الجامعات ترعاها الكنيسة وتناقش فيها مسائل العقيدة الكاثوليكية، والعلاقة بين العقيدة المسيحية والأدب الوثني القديم، ولا سيما ما كتب أفلاطون وأرسطو وشيشرون الذين بعثوا مرة أخرى في الغرب، ومهدت قيامة هذا الإرث الفكري إلى التشكيك في المعتقدات التقليدية.[4]

في العصور الوسطى المتأخرة، برزت فئة التجار*. كان نمو التجارة المحلية والتجارة الخارجية أهم سبب لعودة نمو المدن. وسرعته الحروب الصليبية لأنها رفعت قدرة الأوروبيين على نقل الأشخاص والبضائع عبر مسافات كبيرة. كما ساعدت الأوروبيين على عقد علاقات مع بعضهم. وزادت الطلب على خدمات وسلع التجار وبناة السفن لاسيما في مدينتي البندقية وجنوة شمال إيطاليا. حقق التجار في هذه المدن أرباحًا هائلة، ما أتاح زيادة عدد سكان المدن.[5]

في البندقية وفلورنسا وجنوة سيطر التجار والمصرفيون والحرفيون على حياة المدن، حتى أن العديد من النخب التقليدية –أصحاب الأراضي-مالت إلى الانغماس في التجارة وإلى توثيق علاقتها مع التجار والمصرفيين، فقد أصبح جليا أن هذا النشاط يؤدي إلى زيادة الثروة ومن ثم السلطة. ومع ازدهار هذه المدن، ازدادت أعداد المهاجرين إليها.[6]أمن التجار أنفسهم خلف أسوار المدينة، واستقلوا إلى حد ما عن السلطات التقليدية. أصبحت هذه المدن دول مدن قوية،

[1]Ibid., P. 18.

[2] Ibid., P. 20.

[3]Ibid., PP. 19-20.

[4]Ibid., PP. 20-21.

*كان التجار مزدرا بهم، التجارة مهنة خسيسة، الأجدر تركها لأذلة القوم أو العبيد أو الأجانب. السبب في ذلك ناشئ عن النظر في كيفية تصرف التجار وهدفهم. يجب على التجار التصرف بكتمان والاحتفاظ بمصادر تمويلهم، وطريق التجارة التي يسلكونها، والمبالغ الذي دفعوها في الأصل مقابل البضائع، وغير ذلك، لأنفسهم أو لعدد قليل من شركاءهم. هذه "الأسرار التجارية" هي أساس أرباحهم. لكن نظر إليها كحجة على دجلهم وخداعهم.

[5]Ibid., PP. 21-22.

[6]Ibid., PP. 22-23.

وبذلك تحرر تجار "عصر النهضة " وحكموا مدنهم استنادا إلى ثقافة التجار لا التقاليد والطقوس. نمت المدن الجديدة وسكان المدن بشكل سريع وانتشرت في جميع أنحاء أوروبا. وكانت قوة الجذب في حياة المدينة الحريات التي يتمتع بها سكان المدينة. [1]

كانت المورفولوجيا المادية والاجتماعية للمدن مختلفة أيضًا عن المدن السابقة. نظرًا لأن النشاط الاقتصادي أصبح النقطة المحورية في حياة المدينة، فقد نزل التجار والمصرفيون والحرفيون التجاريون في مناطق مركزية من المدينة. وهكذا جاءت أبرز الفضاءات المبنية في المدن لترمز إلى قوة ومكانة هذه النخبة الاقتصادية الجديدة. تم إعادة بناء بقية الفضاء المادي أو تشييده لتلبية احتياجات العمل.[2]

برزت نخبة فنية متخصصة، وفصل العمل الفكري عن اليدوي الحرفي. ينفد الحرفي مخططات ونماذج وتوجيهات الفنانين دون استدعاء ملكاته الإبداعية. وهكذا نشأت ثقافة "كلاسيكية" نخبوية خالصة. ابداع فني ينطق بلسان السلطة الحاكمة.

في الفترة الممتدة من "النهضة الغربية" (حوالي 1250) إلى القرن الخامس عشر وحتى منتصف التاسع عشر "الباروك"، خضع المجال العمراني لتوجيهات استيطيقية أملتها السلطة السياسية معتمدة على فنانين ذوي معارف فنية اكاديمية. في هذه الفترة عوملت المدينة معاملة النفائس الفنية. كانت الطبقة الحاكمة والنخب الاقتصادية على وعي بدور الفن في الحياة العامة لذا مولت الفنانين ورعتهم. وخلقت مدن جديدة "من العدم"(مثل فرساي، سانت بطرس، واشنطن)، وأعيد تشكيل نسج عمرانية قديمة (مثل روما مع ألكسندر السابع. وباريس مع هنري الرابع) حسب مبادئ الفن الكلاسيكي.[3]

ما يميز هذه التجمعات الحضرية تجاوزها الزمن (بمعنى أنها تستحضر قواعد النظرية الكلاسيكية وموروث الحضارات التي بعثتها النهضة). والمكان (لأنها قابلة للنسخ وإعادة الإنتاج، فرساي مثلا صارت نموذجا للملكيات في أوروبا، وسانت بيير في روما اعيد انتاجها في كوت ديفوار).[4] أي أنها نماذج قابلة لإعادة الإنتاج. دور الفضاء أيضا تغير، المجتمع الأرستقراطي الذي أنتجه، يريد ان يظهر، أن يتجلى فضائيا.[5]

التصنيع: كانت الرأسمالية الصناعية، التي بدأت في أوروبا في منتصف القرن الثامن عشر، *عملية قائمة على المدينة وعملية إنشاء المدينة*. احتاج المصنع إلى أعداد كبيرة من العمال من المناطق الريفية. تدين المدن الصناعية التي نشأت بنجاحها الاقتصادي لقدرتها على التخصص

[1] Ibid., P. 23.
[2] Ibid., P. 28.
[3] Ibid., P.36.
[4] Ibid., P.37.

في منتجات معينة ومن خلال نشر أساليب الإنتاج والعمليات العمالية الفعالة. داخل المدن، تطورت المناطق الصناعية المتخصصة نظرًا لاتجاه الشركات إلى التجمع للاستفادة من اقتصادات التكتل مثل توافر العمالة.[1]أحدث التصنيع تغييرات كبيرة في المدن وحياة سكانها. تدني الأجور والاكتظاظ وسوء السكن. دفعت نخب المدينة إلى إدخال إصلاحات على طريقة تنظيم الحياة في المدينة، مثل طرق توفير الإسكان والمياه والصحة العامة والسلامة.[2]

منذ الثورة الصناعية، وقعت طفرة في البعد الكمي والكيفي في المدن. حصل تحور كبير في الناحية المورفولوجية، لاسيما بعد تطور شبكات النقل والمرور. سمح المحرك البخاري بتصنيع كميات هائلة في المصانع. وعازت هذه الأخيرة اليد العاملة التي وجدتها في المهاجرين نحو المدن، لأن التقدم في المجال الزراعي حرر القوة العاملة التي يممت صوب المدينة بحثا عن العمل.[3]

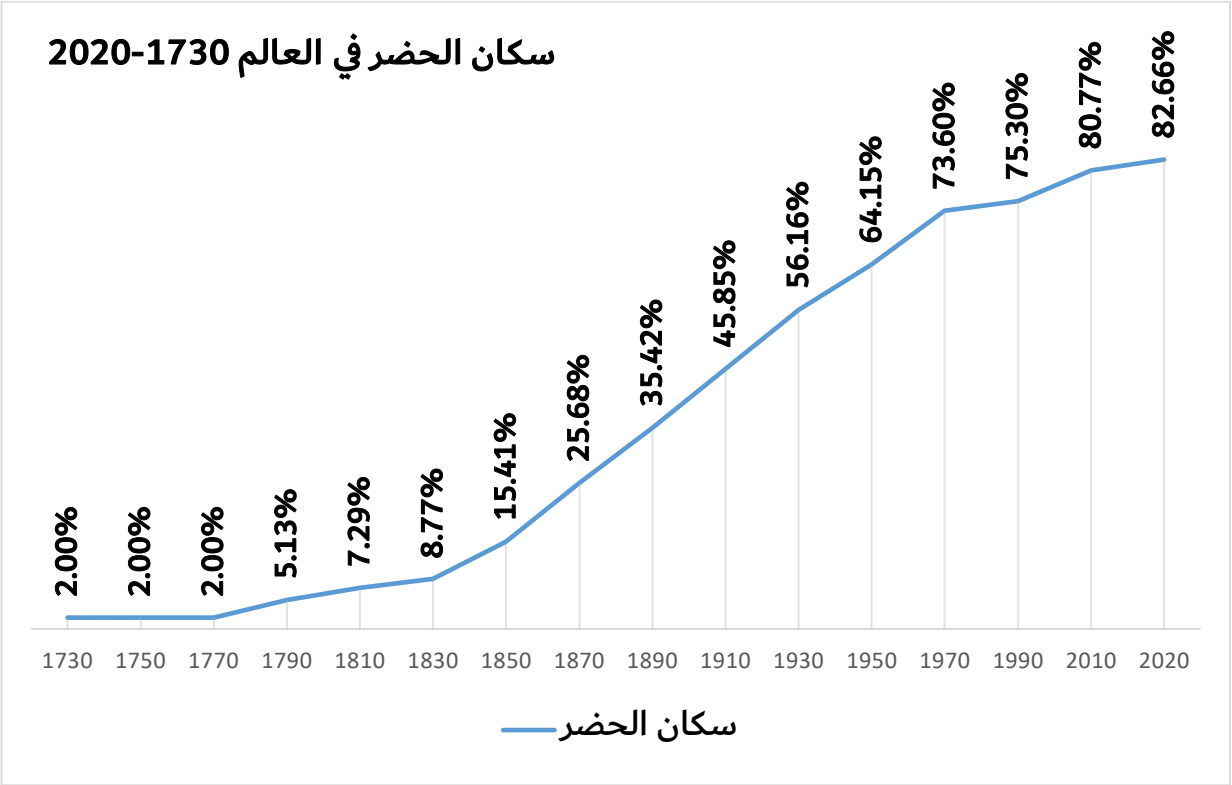

***منحنى: سكان الحضر في العالم 1730-2020**

المصدر: Mapping the World's Urban Population from 1500 to 2050 (visualcapitalist.com)

ظهر اصطلاح المخطط النموذجي لضرورة انشاء المعامل اللازمة للإنتاج الصناعي وخلق أحياء عمالية لإيواء الحشود الحضرية الجديدة في ظروف ملائمة ودون تهديد الوضع الاجتماعي القائم في الأحياء العمالية.[4]

[1]Pill, op.cit., P12.
[2]Ibid.
[3]Saidouni, op.cit., P.44.
[4]Ibid.

مواد البناء تغيرت، فتنتج بكميات كبيرة استبدلت المواد التقليدية المكلفة. وقد أثرت وحدة المواد على توحيد شكل الفضاء المعماري.[1]اما الصعيد الاجتماعي والثقافي، فأفراد المجتمع الصناعي الجديد يفتقدون الانسجام العام الذي وحد الجماعة التقليدية، ويفتقدون الثقافة العالية التي تميز بها العصر الكلاسيكي.[2]

للمدينة الصناعية بنية ثنائية، فنجد نوعين من الأحياء، مختلفين اجتماعيا ومورفولوجيا (الأحياء البورجوازية في المركز، والعمالية غالبا في الأطراف. إضافة الى الفوضى الوظيفية: مبادئ حرية التملك والتجارة الحرة أدت الى تجزئة للأرض فوضوية. تدريجيا ستظهر اللوائح التنظيمية العمرانية لضبط فضاء المدينة.[3]

بناء السكك الحديدية أتاح للناس التنقل بسهولة نسبية عبر مسافات كبيرة. وكانت النتيجة ظهور ضواحي سكن على طول ممرات النقل والمناطق الصناعية. تفاوتت جودة هذه الضواحي بحدة بين مساحات الأغنياء والفقراء. وبالمثل، ظهرت الانقسامات بين الحياة وسط المدينة وفي الضواحي.[4] تم استبدال العربات التي تجرها الخيول بقطارات البخار، ثم العربات الكهربائية وأخيراً السيارة للنقل من وإلى المناطق النائية. في كل مرحلة من مراحل التطور الحضري تُدفع حدود الاستيطان بعيدًا عن وسط المدينة.*[5]

كانت النتيجة تنمية حضرية عشوائية تنطوي في كثير من الأحيان على إقامة سريعة لمساكن مؤقتة على طول الأزقة الضيقة القذرة حيث يعيش العمال مع عائلاتهم في ظلال المصانع. يقول فريدريك إنجلز:

"يجب أن نعترف أنه في مساكن العمال في مانشستر، لا توجد نظافة ولا راحة، وبالتالي لا توجد حياة عائلية مريحة؛ أنه في مثل هذه المساكن، لا يمكن إلا لعرق به انحطاط [...] أخلاقي وجسدي ينزل به إلى دركة البهيمية، أن يشعر بالراحة [في هذه المساكن]" .[6]

مع توسع الأحياء المزرية التي سكنها العمال وأماكن تجمعهم، بدأ العديد من الأغنياء لاسيما من الطبقة الوسطى-البرجوازية الصاعدة التي بنت ثروتها على التجارة والتصنيع والتمويل-

[1]Ibid., P.45 .
[2]Ibid.
[3]Ibid., PP.45 .46-
[4].Deborah Stevenson, CITIES AND URBAN CULTURES,**OPEN UNIVERSITY PRESS,**(Maidenhead · Philadelphia First Published 2003), P.15.
*خلال هذه الفترة المبكرة كانت المناطق الواقعة خارج القلب الحضري مرتبطة بها دائمًا من خلال التبعية الاقتصادية، والمشاركة في الثقافة `` العالية "، أي الفن والموسيقى، الموضة وما شابه.
[5]M. GOTTDIENER and LESLIE BUD, Key Concepts in Urban Studies, **SAGE Publications**, (2005), P 87.
[6]Stevenson, op.cit., P.16.*, we must confessthat in the working-men'sdwellings of Manchester, no cleanliness, no convenience, and consequently no comfortablefamily life ispossible;that in suchdwellingsonly a physicallydegenerate race ...degraded, reducedmorally and physically to bestiality, couldfeelcomfortable and at home.*

الانسحاب من المدينة إلى الضواحي الناشئة والريف، وصارت الضاحية منطقة سكن بورجوازي حضري*.

تدهورت الظروف المادية لمدن القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كان هناك انخفاض ملحوظ في المعايير الجماعية للصرف الصحي والنظافة كان إلقاء القمامة في الشوارع ممارسة شائعة في المدن الصناعية في القرن التاسع عشر.*[1]

يرتبط التوسع العمراني بالثورة الصناعية لعدد من الأسباب. أولاً، تتطلب المصانع الكبرى قوى عاملة هائلة، كانت الهجرة من الريف إلى الحضر سمة مميزة لهذه الفترة لانجذاب العمال إلى المدن بسبب فرص العمل. معدل التحضر وصل لأول مرة 50٪ في بريطانيا في سبعينيات القرن التاسع عشر. ثانيًا، أدى التصنيع إلى التوسع في البنى التحتية التي مكنت النمو الحضري، عززت إضاءة الشوارع (مصابيح الغاز في البداية ثم المكهربة لاحقًا) السلامة بعد حلول الظلام، سمحت تقنيات الإطارات الفولاذية ببناء مبانٍ أطول بكثير. سهّل ذلك تقسيمًا اجتماعيًا جديدًا للعمل في المدن التي تضمنت الطبقة العاملة، و"البرجوازية الصغيرة" التي تتألف من أصحاب الأعمال الصغيرة، وطبقة استهلاكية جديدة يشار إليها غالبًا باسم الطبقة الوسطى.[2]

تطورت المدن حيث وجدت الصناعة مواقع مناسبة بالقرب من الموارد الطبيعية القابلة للاستغلال. مع فتح طرق تجارية جديدة، ظهرت تقنيات وطرق جديدة لتنظيم الإنتاج، وحدثت ابتكارات في مجال النقل.

يقول محمد خاتمي: ***"إن الفارق الجوهري بين العالم القديم والعالم الجديد ليس في الثبات المطلق للأول، والتغيير المطلق للثاني، بل هو في بطء حركة التغيير في الأول، واكتسابها سرعة متزايدة في الثاني"*** [3]

الفوردية: نظام الإنتاج الضخم باستخدام خطوط التجميع الآلي. كانت مصانع التجميع تقع في الضواحي حيث الأرض أرخص. هاجرت أعداد متزايدة من الطبقة الوسطى إلى الضواحي المترامية الأطراف بعدما هاجر الأثرياء اليها، مدعومة بشبكة النقل العام الجماعي مثل السكك

*في مدينة ما قبل الصناعة، كانت النخبة والعوام يعيشون في نفس الأحياء تقريبًا، حيث سكنت النخبة البيوت الكبيرة مقابل الساحات والمتنزهات؛ أما العوام ففي الممرات الضيقة والشوارع الخلفية. ولكن منذ أوائل القرن التاسع عشر، بدأت الطبقة الوسطى تظهر حذرًا تجاه جيرانها من الطبقة العاملة. فسعوا إلى عزل أنفسهم، عن حياة الشوارع غير المهذبة وربما الخطرة. وهكذا بدأت عملية التنظيم الطبقي الفضائي.

*وفي هذا السياق، نذكر أن أول مؤتمر عالمي للتخطيط العمراني-1898-تناول المشكلات التي تواجهها المدن في تلك الفترة، ولاسيما روث الأحصنة الذي غطا طرقات المدن.تكهنت جريدة نيويورك تايمز في مقال نشر سنة 1894 أن يصل ارتفاع طبقة الرجيع التي غطت الشوارع الى ما يفوق المترين خلال خمسين سنة من هذا التاريخ.

[1]Ibid., P.17.

[3]إعداد وترجمة محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، الحداثة وانتقاداتها نقد الحداثة من منظور عربي-إسلامي. (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2006) ص 10.

الحديدية والترامواي وفيما بعد بالسيارات. أصبح السكان في المدن الداخلية بشكل متزايد من ذوي الدخل المنخفض.[1]

الكينزية، ربطت بين الإنتاج الضخم والاستهلاك الضخم ودور الحكومة. اعتمد على الإنفاق الحكومي كوسيلة لزيادة الطلب الكلي لإخراج الاقتصادات الصناعية من الكساد الكبير في الثلاثينيات. وتستهدف المناطق والمدن التي يتخلف فيها النشاط الاقتصادي عن المتوسط الوطني. بحلول منتصف السبعينيات من القرن الماضي، أدى انخفاض الإنتاجية إلى جانب المنافسة الدولية المتزايدة وارتفاع أسعار النفط إلى تراجع الفوردية. وارتفعت تكاليف الإنتاج عبر اقتصادات البلدان الصناعية وبدأت الشركات في الانتقال إلى المواقع التي كانت فيها العمالة والأراضي أرخص. فتح النقل والاتصالات العالمية مواقع جديدة لاستثمار رأس المال في جميع أنحاء العالم. [2]

النيوليبرالية: كان على الدولة بعد الانتقال من عصر فوردي إلى حقبة ما بعد الصناعة أن تكون أكثر مرونة لتسمح للشركات باتخاذ قرارات عن كيفية ومكان إنتاج منتجاتها دون تقييد. ازدادت المنافسة بين المدن والدول القومية التي تسعى إلى جذب الاستثمار.[3]**و**قامت الشركات الكبرى بتنسيق عملية الإنتاج عبر مجموعة من المواقع. على سبيل المثال، باشرت شركة "تويوتا"* متعددة الجنسيات توسعها العالمي أثناء الستينيات، وصنعت أول سيارة تويوتا خارج اليابان في ملبورن بأستراليا عام 1963. بحلول عام 2017، وسعت شركة Toyota عمليات التصنيع العالمية إلى 28 دولة، وكانت تبيع أكثر من 170 دولة حول العالم. ساعدت قدرة Toyota على تنسيق عمليات الإنتاج الخاصة بها عبر مجموعة من المواقع العالمية على نموها السريع. الاقتصادات الناشئة حديثًا، كاليابان، استبدلت نموذج التصنيع الفوردي بنظام إنتاج جماعي على أساس نموذج تويوتا.[4]تميل المقرات الرئيسية لهذه الشركات الكبيرة إلى التجمع في عدد من المدن العالمية الكبرى التي تعد نقاطًا مهمة في الشبكات الدولية ومراكز قيادة للاقتصاد العالمي. انتقلت اقتصادات المدن (والاقتصادات الوطنية) من الصناعات التحويلية إلى قطاع الخدمات.[5]

التحضر العولمي: انتقلت عمليات التحضر المتسارع التي بدأت في المناطق الصناعية في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين إلى بقية العالم، تتنوع مستويات التحضر عبر العالم: عام 2018، كانت أكثر المناطق تحضرًا أمريكا الشمالية (٪82 يعيشون في المناطق الحضرية في 2018)، أمريكا الجنوبية ومنطقة البحر الكاريبي (٪81)، أوروبا (٪74) وأوقيانوسيا (٪68). في آسيا، حوالي 50٪. في المقابل، لا

[1]Pill, op.cit., P. 12.
[2]Ibid., P. 13.
[3]Ibid., P. 14.
*Toyota Motor Corporation.
[4]Ibid.
[5]Ibid.

تزال غالبية أفريقيا ريفية، نسبة 43٪ من سكانها تعيش في المناطق الحضرية.[1] يرى ديفيد هارفي أنه لفهم المدن في ظل العولمة يجب ملاحظة حركة رأس المال. يبحث رأس المال عن المواقع الأكثر ربحية، ومع عولمة الإنتاج سحبت الاستثمارات من المدن الصناعية وانتقل الاستثمار إلى مدن الجنوب العالمي* لتعظيم الأرباح. الوظائف التي خلقها التصنيع غذت الهجرة من الريف إلى الحضر، وسرعت نمو هذه المدن. عظمت العولمة المنافسة بين المدن في العالم لجذب الشركات الكبرى.[2]

[1] Ibid., P.15.

*هذه التقسيمات التي ظاهرها جغرافي (شرق وغرب، شمال وجنوب، شرق أوسط وشرق أدنى..) هي تقسيمات ثقافية.

[2] Ibid., PP. 14-15.

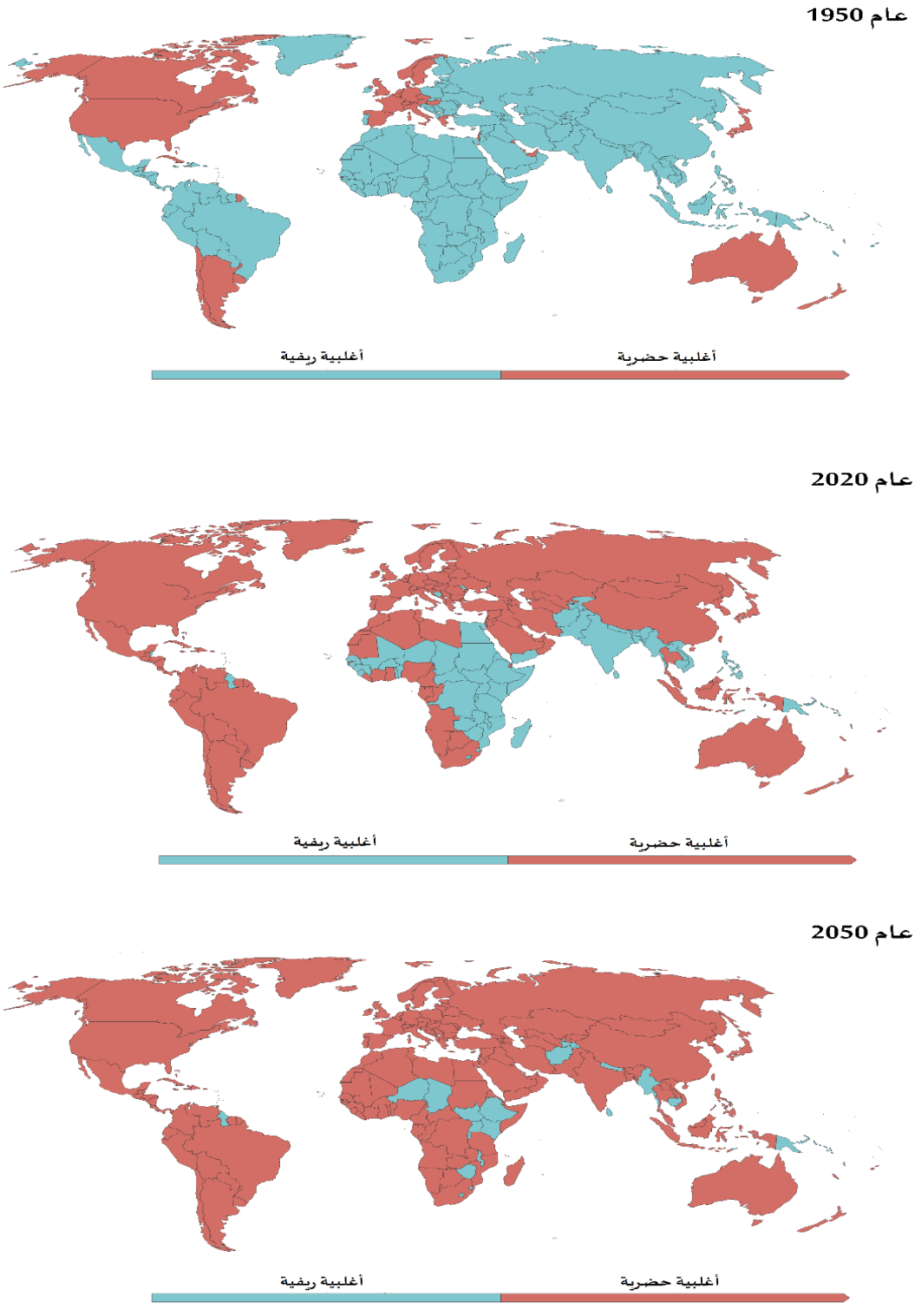

***الخريطة (01): الدول التي أغلب سكانها (أكثر من 50% من نسبة السكان) حضر مقابل التي أغلب سكانها بدو** (تتخذ هذه الخريطة تعريف المكتب الوطني الأمريكي للإحصاء لتحديد سكان الحضر من البدو، مصحوبة بتوقعات الأمم المتحدة لعام 2050).

المصدر: https://www.visualcapitalist.com/mapping-the-worlds-urban-population-in-2050/

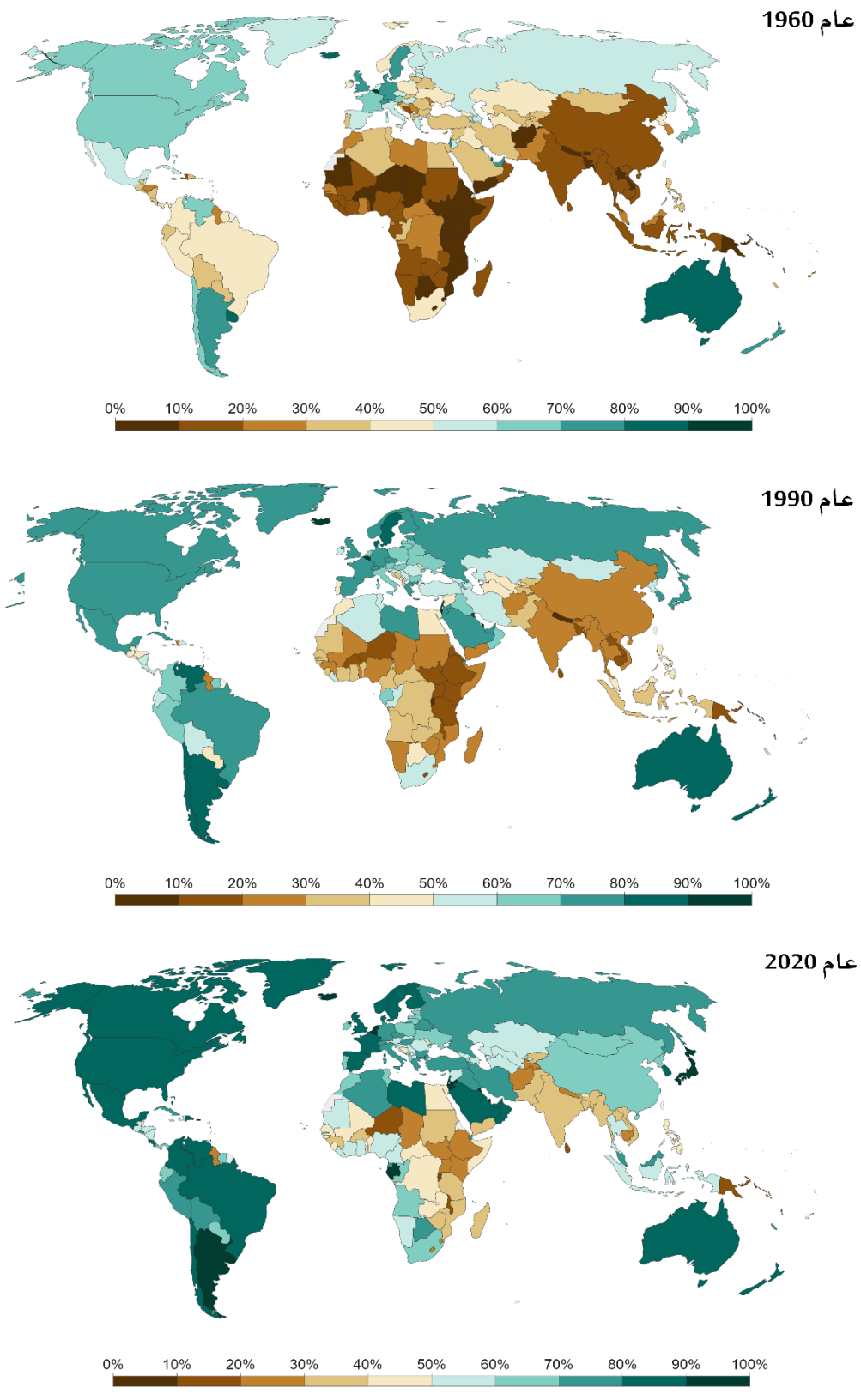

Source: UN Population Division (via World Bank)
Note: Urban populations are defined based on the definition of urban areas by national statistical offices.

***الخريطة (02): تطور نسبة سكان الحضر في العالم أعوام 1960، 1990، 2020.**

المصدر: https://ourworldindata.org/urbanization

المبحث الثاني: المدن في بعدها السياسي

ننطلق من قول وارن ماغنسون*الذي خلاصته أن ***"مفتاح فهم السياسة المعاصرة يكمن في النظر الى المسائل من زاوية المدن لا الدول"***.[1] ان المدن تتجه في عالم ما بعد الحداثة، إلى استعادة مركزيتها كوحدة للتحليل السياسي. تنقلت الممارسة السياسية عبر التاريخ من المجتمعات البدائية البسيط تنظيمها، السابقة ظهور المدينة والقائمة على التقاليد والأعراف والعلائق الدموية والقبلية، إلى المدينة ودولة المدينة ودولة القطر، ثم إلى الدولة القومية، وستؤوب مجددا إلى المدن.

المدينة حسب تصور التقليد الغربي نقطة الانطلاق للتفكير في المسائل السياسية، فكلمة سياسية ومواطن مشتقة من كلمة مدينة في الاغريقية القديمة. إن المسائل السياسية في جوهرها حضرية، فالعلاقات السلطوية لم توجد في بعض المجتمعات البدائية وفي الانثروبولوجية السياسية بيان ذلك، وانوجدت علاقات سلطوية غضة في المجتمعات الأقل تعقيدا، لكن الممارسة السياسية في صورتها المعقدة والعالية تطورت في المدن وفي دول المدن. بعد أن تمدن الناس وتحولوا عن حفظ النظام وحل الصراع؟؟؟؟؟ بالتقليد وطاعة السلطة الأبوية، إلى حفظه عبر التفاوض والمداولة والتسوية: التنظيم السياسي في المدينة عقلاني.

لقد قلنا أن الجذر العربي لكلمة مدينة يحملنا إلى معنيين، الأول واضح وهو معنى الإقامة والنزول، أما الثاني وهو مصدر دين بمعنى الطاعة والانقياد، فيدل عن الجوهر السياسي للمدينة. يدل على أن المدينة أساسا فضاء لإقامة السلطان وسوس الناس.

المدن باعتبارها فضاءات تحفز وتقع فيها عمليات التغيير الاجتماعي، كانت محورية في عمليات التحول السياسي عبر التاريخ. ولدت فيها مفاهيم المواطنة والمشاركة السياسية. قدمت المدينة اليونانية القديمة "بوليس" موضوعا اجتماعيا جديد هو "المواطن" (ساكن المدينة)، أُسِسَ لمفهوم المواطنة كالتزام متبادل للأفراد تجاه بعضهم، وكامتياز سياسي يعطي لكل موطن الحق في المشاركة في شؤون الحياة السياسية.

لكن الممارسة العملية تفصح عن انتقائية المصطلح، وأن المواطنة مفهوم ليس بتلك الشمولية. وحتى يومنا هذا لا يزال منح الجنسية أداة للسلطة والسيطرة والإقصاء السياسي. ولاتزال مطالب المستبعدين سياسياً في المدن تمثل تهديداً للنخب.[2]

العناية بالمدن مهمة لأن سواد الناس في العالم يعيشون في المدن-وفي الخريطة (1) و(2) آية ذلك. وتشكل المدن مواطن للتحديات الحاسمة فيالسياسة* والسياسة العامة* لأنها تجمع الناس

[1]Warren Magnusson, **Politics of urbanism Seeing like a city**,(New York : Routledge, 2011),P.16.
[2]Pill, op.cit., P. 18.

*politics
*policy

للتعبير عن قضايا سياسية ولأنها كيانات متعددة الأبعاد يتفاوض فيها الأفراد على عمليات التغيير. إن السجالات الدائرة حول كيفية حكم المدن ليست حضرية فحسب لأنها تجري في بيئات حضرية، ولكن لأن **"الحضري" محفز السياسة**.[1]

المطلب الأول: المدينة موضوعا للسياسة

ان خاصية التجاور* في المدينة تسمح لسكانها بالاجتماع للتداول في القضايا السياسية، تشكل المدن المجتمع من خلال تسوية الخلاف، بما أن السياسة فن حل النزاعات، وبما أنها تنظم سير المجتمع، فان عيش الناس وخبرهم الحياة الحضرية متأثر بعمليات التوفيق -عبر السياسة-بين الهويات والاختلافات.[2] لذا يتم الخوض في سياسة اللقاء في المدن بالذات.*

يحدث التغيير الاجتماعي عندما يتفاعل الأفراد ويترجمون آراءهم وتفضيلاتهم إلى فعل سياسي. تقدم المدن مظهرًا مرئيًا لكيفية تشكيل القوى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية المجتمع، مما يمكننا من الكشف عن العمليات والمؤسسات والمصالح والهويات التي تشكل المجتمع عينه. المدن تخدم مصالح الناس بطرق غير متساوية وغير متكافئة. يمكن استخلاص مؤشرات هذا من البيئة العمرانية المادية، لأن **كيفية إدارة المجتمع تنعكس من خلال المساحات التي ينتجها.**[3]تقصي خيارات السياسة العامة على المستوى الحضري يعين على معرفة كيف، ومن ولمن تحكم المدن.من قضايا السياسات العامة المحورية في المدن مسائل التفاوت الاقتصادي والاجتماعي والمكاني، واستجابة السلطة لمعالجة هذه التفاوتات.[4]

الدراسات المبكرة التي أجراها علماء السياسة في المدن الأمريكية لتحديد "من يحكم" حكمت على سياسة المدينة بالنخبوية، أي أن مجموعة صغيرة نسبيًا من الأفراد تتخذ معظم القرارات مع اشراك سواد سكان المدينة في بعض من المسائل. روبرت دال افترض عملية أكثر تعددية حيث يكون لمجموعة واسعة من الأفراد واصحاب المصالح رأي في صنع القرار والسياسة العامة. يستمر النقاش بين تيار النخبة والتعددية عما إذا كانت السلطة مشتتة أو مركزة في المجتمعات الحضرية.[5]

لا بد من معرفة المسؤول عن صنع السياسة وتنفيذها، ومن يشارك في صياغة السياسات وتنفيذها، ومن الذي يحق له التصويت. السياسات العامة تتميز بخاصية التعاضد، وتظهر هذه الخصيصة مجلوة في المدن.

تتمثل الاستجابات في الطرائق والمدى الذي تتفاعل به الحكومة مع المواطنين في تحديد وتنفيذ خطط عمل لحل المشاكل. يتعلق جزء من هذا التحدي بمن يعتبر مواطنًا في المدينة. كيف يمكن

---

[1]Ibid., P.24.

proximity*. ومنها اشتق اسم الحقل المعرفي proxemics الذي وطأ له إدوارد هال في كتابه البعد المضمر.

[2]Ibid., 18-19.

*انظر كتاب آنديماريفيلد، the politics of the encounter :urbantheory and protestunderplanetaryurbanization.

[3]Ibid., P.19.

[4]Ibid., P.10.

[5]Ibid., PP. 31-32.

لسكان المدن المشاركة في القرارات المتخذة بشأن من يحصل على ماذا ومتى وأين في مدنهم؟ يتطلب تجميع الصوت والعمل الجماعي تجسير الاختلافات في المدن التي تزداد تشتتًا اجتماعيًا ومكانيًا.[1]

السياسة الحضرية/سياسة المدينة تعنى بتنظيم المدينة، وطريقة توزيع مواردها وكيف -ومن –يحكمها.[2]يرى كلارنس ستون أن السياسة الحضرية هي ***"مسألة فهم كيفية ارتباط مزيج متغير من القوى بالظروف الحضرية".***[3]فهم النهج الذي يحكم المدن والخيارات والقيم والأهداف التي توجه إدارتها، مسألة معقدة تتعاضد فيها مجموعات من الفواعل الرسمية وغير الرسمية، وتتداخل فيها سياسات عامة قطاعية شتى، من السياسة الاقتصادية إلى البيئية، ومن سياسة النقل إلى سياسة الإسكان، ومن السياسة الاجتماعية (أو سياسة الرفاه كما يعبر عنها في الدول أنجلوفونية اللسان) إلى السياسة السياحية وهلم جراً. لان المدن في النهاية تمظهر مادي للمجتمع بكل تعقيده.

تطور الحقل المعرفي لعلم الاجتماع جنبًا إلى جنب مع نمو التحضر والتصنيع. المدن والتجارب المتنوعة المرتبطة بالعيش فيها كانت موضع بحث ومناقشة منذ القرن التاسع عشر. وكانت الظروف التي عاشتها الطبقة العاملة الصناعية هي التي دفعت إلى المحاولات المبكرة لتفسير المجتمع الصناعي. وإن كانت موضوعات التحضر وآثار ونتائج الحياة الحضرية واضحة في كثير من الأعمال التي قام بها المؤسسون الفكريون لعلم الاجتماع، بما في ذلك كارل ماركس وماكس فيبر وإميل دوركهايم، وإن كان بشكل غير مباشر.[4]

استحوذت فكرة دراسة المجتمع الجديد على عقول جيل من الطلاب. عمل معظمهم في إطار برامج دراسية جديدة في الجامعات الموجهة لتعزيز البحث الذي يخدم المجتمع وإصلاحه. دراسة التخصصات الناشئة صاغت طرقًا منهجية ونظرية مستحدثة للنظر في عمل المجتمع، منها الدراسات الحضرية. كان علماء الاجتماع في كولومبيا وشيكاغو سابقين في تصور المدينة كمختبر –نموذج انتشر على نطاق واسع-، ثم أسست "الجمعية الأمريكية للجامعات الحضرية * " عام 1914.[5]

يرسم السياق الوطني السياسة الحضرية، فلكل بيئة بنى مؤسسية خاصة بها، وثقافتها السياسية، وأصناف أنظمتها الحضرية. الأمر الذي يشق على التحليل المقارن وبناء النظريات العامة. ومع ذلك، فالسياسة الحضرية غنية بالزاد النظري. وبينما تطمح هذه النظريات لقابلية التطبيق

[1]Ibid., P.24.
[2]Jon Pierre, Palgrave Macmillan, **The Politics of Urban Governance**, (2011), P. 1.
[3]Ibid., PP.1-2.
[4]Stevenson, op.cit., P.19.
*American Association of Urban Universities
[5]ZANE MILLE**,Urban History, Urban Crises, and Public Policy**,**Urbanism Past &Present**, No. 1 (WINTER 1975-76) : Board of Regents of the University of Wisconsin System on behalf of the University of Wisconsin-Milwaukee.P.02.

على المدن في جميع البيئات الوطنية، فهي تظل انعكاسا للسياق الذي خرجت منه، ويتضح هذا عند محاولة تطبيق النظرية في سياقات مغايرة. لا تنتقل النظرية كما هو مفترض في بعض الأحيان:[1]

- للمدينة الأمريكية مثلا –باعتبارها بلدية مدمجة-صلاحية فرض الضرائب، وتوظيف شرطة خاصة بها، ومهمة توفير الخدمات الاجتماعية لسكانها. تتمتع بالحكم الذاتي ولديها مسؤولوها المنتخبون، لذا تتمتع إدارات المدينة بالسلطة السياسية على المستوى الوطني.
- في فرنسا، تمارس المدن الخمس الكبرى (باريس وليون ومرسيليا وليل وبوردو) سلطة رسمية وغير رسمية هائلة.
- في ألمانيا، نظام حكم مدن لاندر وهامبورغ وبريمن وبرلين الإقليمي يعزز موقعها مقارنة بالمدن الأخرى.
- في المملكة المتحدة، لندن هي المدينة المهيمنة وتتفوق قوتها وتأثيرها بشكل رسمي وغير رسمي على المدن الأخرى.[2]

العولمة ومخرجاتها تؤثر على المدن في أنحاء العالم بطرائق شتى. تتشارك المدن في تحديات من منبع واحد، تتجلى بشكل مختلف في مدن مختلفة، تتعلق غالبا بالتنمية غير المتوازنة وعدم المساواة داخل المدن، وبين المدن داخل الدولة الواحدة، وبين المدن على مستوى العالم.[3]في بضع عقود، سيعيش الغالبية العظمى من سكان العالم في مناطق حضرية مما سيؤدي-كما يرى البعض-إلى خلق مدينة عالمية كبرى: "ecumenopolis".[4]

الاهتمام المتزايد بإصلاح الإدارة العامة أدى الى إعادة تحديد أجندة السياسة الحضرية، مع رونالد ريغان في الولايات المتحدة ومارغريت تاتشر ثم توني بلير في المملكة المتحدة، وصارت جزء كبير من السياسة الحضرية. كان التركيز على القضايا الإدارية قوياً لدرجة أنه أدى إلى مزاحمة القضايا التقليدية للسياسة الحضرية التقليدية مثل التخطيط الحضري[5].

النظرية المؤسسية: تبرز أهمية المؤسسات في السياسة الحضرية على مستويين:

بادئ ذي بدء، المؤسسات السياسية المحلية هي الركائز المجسدة للسلطة السياسية. من غير الممكن تصور حكومة دون مؤسسات.[6] ثانيًا، المؤسسات بمعنى أكثر تجريدًا. أي كأنظمة قيم

[1]Pierre, op.cit., P3.

[2]Gottdiener, op.cit., P.5.

[3]Pill, op.cit., P.24.

[4]Peter J.M. Nas, **Cities Full of Symbols A Theory of Urban Space and Culture**, (Leiden UniversityPress, 2011), P.07.

[5]The Politics of Urban Governance, Jon Pierre, Palgrave Macmillan, 2011. 4

[6]Pierre, op.cit., P.15.

وأنماط متكررة للسلوك والقواعد والممارسات. لا يهتم هذا المستوى بتشكيل النظام السياسي المحلي بل بالأهداف الشاملة للسياسة الحضرية. ترتبط هذه الأنماط المجردة –المؤسسات- بالرموز والمخيال الجمعي والذكريات والقيم. تحدد الذاكرة الجماعية ما المدينة عليه اليوم وما تريد أن تكون غدًا. هذه القيم والمعايير المجردة هي مؤسسات توجه العمل الفردي والجماعي. وبالتالي، من أجل فهم الحوكمة في المدينة، يجب طرح أسئلة من قبيل: ما المعايير والأهداف التي توجه سلطات المدينة؟ من الفاعلون السياسيون والاجتماعيون والاقتصاديون الذين حددوا تلك الأهداف، ومن الذي يستفيد منها؟[1]

تجادل النظرية المؤسسية أيضًا بأن تحليل العلاقة بين هذين الجانبين من المؤسسات -بين البنى والقيم-ينبئ عن الأولويات السياسية للمدن. المدن التي تولي احتياجات الشركات الخاصة الأولوية الكبرى، تختلف بنيتها المؤسسية عن المدن التي تجعل العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل أولويتها. وبالتالي، يتم تضمين خيارات السياسة الحضرية في بنى تسهل خيارات أكثر من غيرها. القيم والمعايير الأساسية في السياسة الحضرية "تشكل وتقيد" السلوك السياسي والاجتماعي الحضري. السبب الرئيس وراء التركيز المزدوج للنظرية المؤسسية على البنية بالإضافة إلى الأنظمة القيمية أن كلاهما يحدد السلوك. كذلك تميل البنى والقيم إلى تعزيز بعضهما البعض.[2]

من السياسة الحضرية إلى الحوكمة الحضرية:

تحولت السياسات الحضرية تدريجياً نحو الإدارة الحضرية. بدأت هذه العملية في التسعينيات جنبًا إلى جنب مع الاهتمام المتزايد بـ "الحوكمة" بين الأكاديميين والسياسيين. تعنى الحوكمة بالتفاعل بين الدولة والمجتمع. حسبها، القطاع العام ليس مضطرًا لتقديم جميع الخدمات العامة بنفسه؛ يمكنه تنسيق إنتاج الخدمات مع الجهات الفاعلة العامة في المستويات المؤسسية والجهات الفاعلة الخاصة والمنظمات غير الحكومية.[3]

أكاديميًا، تعيد الحوكمة توجيه الانتباه من المؤسسات إلى العمليات ومن ممارسة السلطة في المدينة وفق الأطر السياسية والقانونية الرسمية إلى الشراكة والتفاعل بين القطاعين العام والخاص.[4]

استبدل التركيز التاريخي على الديمقراطية المحلية والخدمات العامة بأهداف تتعلق بتعزيز الكفاءة، والوعي بالتكلفة، وإدماج القطاع التطوعي في إنتاج الخدمات العامة وتقديمها. شهدت

[1]Ibid., P.16.
[1]Ibid., P.17.

[3]Ibid., P. 5.

[4]Ibid., P.6.

المدن في أنحاء العالم الغربي مجموعة من الأدوات الجديدة مثل التعاقد الخارجي والخصخصة والشراكات بين القطاعين العام والخاص وبروز "القطاع الثالث"[1]–القطاع التطوعي.

الحوكمة الحضرية أقل اهتمامًا بإدارة واستيعاب الصراع السياسي وأشد اهتمامًا بالتفكير الإداري والكفاءة، مستوحية من نماذج القطاع الخاص لإنتاج الخدمات والتعبئة المشتركة بين القطاعين العام والخاص.[2]

المطلب الثاني: التخطيط الحضري

التخطيط الحضري تصور مسبق للقاء بين الأيديولوجيا وعملية الإنتاج. التخطيط هو تصميم وإدارة كيفية تداول تدفقات الاستثمار داخل وخارج البيئة المبنية[3]. **ترتبط القوة السياسية للمدن بمكانتها كمواقع للنشاط الاقتصادي.**[4] يقول ماركس: رأس المال هو المهندس الرئيسي للبنية المكانية.

سبق القول أن المدن العتيقة لم تخبر التخطيط الحضري بالمعنى الحالي الذي يحمله المصطلح. تطورت ونمت هذه المدن كيفما أملت الضرورة، وبذا تبلور شكلها عبر الزمن. هذه العملية البطيئة سمحت للبيئة المادية بالتكيف مع وظائف المدينة، فالمدن في هذا السياق لم تكن هدفا بنفسها بل أداة شكلها الاستخدام. جاءت "النهضة الأوروبية" معها بأول تحول للمدينة نحو التخطيط. تولت مجموعة من الفنانين الحرفيين وظيفة تخطيط المدينة. هؤلاء لم يهملوا وظائفها الأساسية كالدفاع والتنقل، ولكنهم تصورا المدينة عملا فنيا لا مجرد مرفق.

صيغت نظريات عن معايير العمارة والتصميم الحضري الجيد بالنظر الى البعد الجمالي. واستمرت العناية بالجوانب المرئية والجماليات عند التخطيط 'الواعي' للمدينة قرونا.[5] شجع التحول في رعاية الفنون وتمويلها من الكنيسة الكاثوليكية إلى التجار إلى ابتكار الفنانين تقنيات جديدة، ودخلوا هم أنفسهم-كما يفعل التجار-في منافسة للحصول على الرعاية والتمويل. تغلغلت خصائص الثقافة التجارية في قطاعات أخرى من مجتمع عصر النهضة.

في فرنسا، في منتصف القرن التاسع عشر، طور المحافظ جورج أوجين هوسمان في باريس نهجًا عمليًا لتنظيم وتهذيب المدينة، لاسيما ما تعلق بالمشاكل الجديدة للإدارة الحضرية

---

[1]Pill, op.cit., P.30.*« In itsbroadestsense, urbangovernanceis the process throughwhich a city isgoverned. As a process, itencompasses not justwhogoverns the city but how the city isgoverned, and thereforealsohelps us to think about for whom the city isgoverned in terms of whobenefits and who loses. »*

[1]Ibid., P.31.
[2]Pierre, op.cit., P.14.

[3]Pill, op.cit., PP.20-21.
[4]Gottdiener, op.cit., P.5.
[5]Jan Gehl,Translated by Jo Koch, **Life Between Buildings**, (Washington DC : Island edition, 2011), P.43.

والوظائف الجديدة والتقنيات الحديثة لا سيما النقل. وسنأتي على ذكره بمزيد من التفصيل في لاحقاً.

دعا المهندس الاسباني "إلديفون سكريدا"* إلى تطوير نظرية عامة في التحضر. في مناخ فكري شاعت فيه الوضعية ولد التخطيط الحضري كمنتظم معرفي، يرى التخطيط الحضري المدينة أولا موضوعًا للتفكير والوصف والتحليل ثم التدخل والتكوين. نشر كريدا نظريته في كتاب نُشر عام 1867، وقد أراد أن يقوم التخطيط الحضري الاعوجاج الذي سببته الثورة الصناعية ونمط الإنتاج الليبرالي على المدينة. تصبح المدينة كائنًا حيًا يجب علاجه، ويستعير الخطاب الحضري من الخطاب الطبي. وبذا تستدعى تدخلات جذرية في الفضاء الحضري لتحسين التَصَحُح* المادي والمعنوي للمدن. [1]

أما في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد انصرف مسؤولو البلديات أوائل القرن التاسع عشر إلى تناول المسائل المتعلقة بالصحة والنظافة وتهذيب المدينة، أكثر من اهتمامهم بتنظيم التجارة والأسعار. تفككت أواخر هذا القرن مدينة المشاة* وشرعت "المدينة الحديثة" في التشكل، بفضل الابتكارات في مجال النقل، التي نتج عنها توسع هائل في المناطق الحضرية وزع الأفراد في الفضاء الحضري حسب العرق والطبقة والجنسية. المدينة الجديدة مزقت الروابط التقليدية للنظام الاجتماعي والرقابة الاجتماعية: وفرت مجالًا أكبر للحرية الفردية والمدنية، وشددت على دور الحكومة المركزية في التخطيط وصنع السياسة الحضرية.[2]

حمل التحول الثاني في أسس التخطيط الحضري اسم **الوظيفية** في الثلاثينات. استلهمت هذه الحركة من المعارف الطبية التي طورت في القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين. حددت معايير التخطيط الجيد اعتمادا على معايير صحية: ينبغي أن تتعرض المباني للتهوية والضوء بشكل كاف، وأن تفصل محلات السكن عن مناطق العمل لضمان ظروف معيشة صحية للأفراد...إلخ.[3]

كانت الوظيفية إيديولوجية تخطيط ذات توجه مادي واضح، إذ لم يحفل الوظيفيون بالجوانب النفسية والاجتماعية عند تصميمهم المباني والأماكن العامة، وبان هذا القصور في تصميم

---

*IIdefons Cerda (1876-1815).

*Hygiene.

[1]Saidouni, op.cit., P. 17.

*the walkable city طور هذا المصطلح جيف سباك Jeff Speck في كتابه: WalkableCity:how downtown can save America, one step at a time. الذي نشر سنة 2012، وفيه دعوة إلى التخطيط لمدينة أمريكية تسمح للأفراد بالمشي، ودراسة للطبيعة الاجتماعية لفعل المشي والنفع الذي يعود به. وظف المصطلح في هذه الفقرة لوصف المدن في مرحلة لم تنتشر فيها وسائل النقل بالشكل الذي نعرفه اليوم، وكانت المدن بالفعل مدنا للمشاة.

[2]Miller, op.cit., P.01.

[2]Ibid., P.02.

[3]Gehl, op,cit., P.43.

الأماكن العامة فأثر على أنشطة اجتماعية كاللعب وامكانيات اللقاء. لم تكن الشوارع والساحات مرغوب فيها في مشاريع البناء والمدن الجديدة.[1]

الوظيفية عبرت عن مبادئها في المؤتمرات الدولية للهندسة المعمارية الحديثة* وخاصة في ميثاق أثينا،* الذي حدد دور التخطيط الحضري في تلبية الاحتياجات البشرية، المحصورة في أربع وظائف رئيسية: العيش والعمل والتنقل والاستجمام.[2]

بعد الحرب العالمية الثانية، في مناخ عام من إعادة الإعمار والنمو الاقتصادي والتحديث الحضري، طبقت مبادئ الميثاق في التخطيط الحضري على نطاق واسع. لكن سرعان ما وسم التخطيط الحضري الذي نتج عنه، بـ "التخطيط الحضري البيروقراطي"، وقد نُظر إليه لاحقًا على أنه سلطوي.[3]

في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، وبعد عقود من تطبيق مبادئ الوظيفية والبناء على مذهبها مساكن متعددة الطوابق، أمكن تقييم عواقب التخطيط المادي الوظيفي.[4]

في الولايات المتحدة، كان عقد الستينيات زمن اضطراب في المدن. قاد الحماس لتطبيق برامج التجديد الحضري وبناء الطرق الى ازالة الأحياء القديمة وسط حنق وحفيظة سكانها السابقين. بهظت الضرائب على العقارات في ضواحي الحلقات الداخلية في المدن، وارتفع ازدحام المرور وتفاقم التلوث... الخ. ثار السود بسبب توسيع وتحسين أحياء المدينة الداخلية على حسابهم* بينما يدفعون هم إلى أطراف المدن والضواحي الفقيرة، أدى تعميق الفقر إلى احتجاج مجموعة واسعة من النقاد الليبراليين. ما بين عام 1964 إلى عام 1971 بلغ العنف الحضري مستويات مرتفعة. وحاول مخططو المدن عن بناء مدن جديدة صغيرة بعيدة عن المراكز التقليدية.[5]

إلحاح الأزمة وتوفر التمويل الفيدرالي دفع الجامعات إلى الاهتمام بالمجال الحضري بشدة، وانتشرت مراكز ومعاهد لدراسة المشاكل الحضرية كالعنف والفقر والمسائل العرقية. وصفت مجموعة علماء من مختلف التخصصات أعمالها ضمن الحقل المعرفي الجديد بـ"متعددة التخصصات". وعادت بعض من دراسات الحالة مثل عمل روبرت دال في سياسات نيو هافن الى الواجهة. ومن هنا توثقت الصلة بين الباحثين المهتمين بالنظريات المجردة والسياسيين

[1]Ibid., P.45.

*Congrès International d'Architecture Moderne, « C.I.A.M ».

*وثيقة نشرت عام 1933، بعد المؤتمر الرابع للهندسة المعمارية الحديثة، من قبل لوكوربوزييه« Le Corbusier ». وفيها عرض لمبادئ المدينة الوظيفية.

[2]Saidouni, op.cit., P. 18.

[3]Ibid.

[4]Gehl, op.cit., P.47.

*gentrification.

[5]Gottdiener, op.cit., P.6.

والبيروقراطيين الذين يتعين عليهم تحويل نتائج البحث إلى سياسة والسياسة إلى برنامج ثم لبنة وملاط.[1]

المبحث الثالث: المدن وبعدها الرمزي

لقد سبق قول إن المدينة وعاء للثقافة العالية، وأن الثقافة تزهر في الفضاءات الحضرية- وبالأخص في الحواضر الكبرى-لأنها منفتحة وجامعة. لطالما عدت المدينة ملاذا لمن يروم حياة جديدة (عرفت باريس مثلا كمدينة تجمع الفنانين والأدباء والمثقفين من شتى الأمصار، وقد نزل هؤلاء بأحياء ارتبطت في مراحل معينة بـ"الثقافة المضادة"، مثل الحي اللاتيني.[2]

في العقود الأخيرة، حثت الاعتبارات الاقتصادية الاستثمار الثقافي في الفضاءات الحضرية، ونظر إلى الثقافة كمصدر محتمل للوظائف لأنها تجذب المستثمرين والسياح. الثقافة في هذا الباب **رأس مال رمزي.**

تنحت الثقافة أساساً-إضافة الى عوامل أخرى-"العلامة التجارية" للمدينة*: نفكر في ميلانو والموضة، وباريس والفنون الجميلة، أو لوس أنجلوس وصنعة الأفلام.وتنعكس أهمية القطاع الثقافي في المدينة عند تنافس المدن لاستضافة الأحداث العالمية الكبرى كالألعاب الأولمبية والمهرجانات.[3]

ثراء المدينة الثقافي يتبدى في أماكنها الشهيرة كالمكتبات والمتاحف والمعارض والمتنزهات والمدارس والجامعات والمقاهي.وفي هندستها المعمارية وتخطيطها الحضري. تمنح الطرز المعماريةوالتصميم الحضري للمدن المزيد من الثراء الثقافي، وهي ذات أهمية كبرى في تسويق المدن في ظل التنافس العالمي بين المدن. وفي هذا السياق يعد **"أفق المدينة"*** علامة مهمة للتسويق، لأنه حين يكون مألوفا وسهل التعرف عليه، فإنه يخلق أداة مهمة لتثمين المدينة في نظام اقتصادي عالمي.[4]

لكن العلاقة بين الفضاء الحضري والثقافة لا تتعلق فقط بالقطاع الاقتصادي وإدرار الأرباح. هناك جانب آخر من الاستثمار الثقافي غالبا ما يغفل، وهو دوره في تشكيل الحياة الاجتماعية الحضرية، فعندما تصب السياسات الحضرية الثقافية جام اهتمامها بالمقاصد الاقتصادية وتعظيم الفوائد، فان المشاكل على الصعيد المجتمعي تطفح.[5] في هذا المبحث سنتحول إلى البعد الثاوي-كما عبر عنه إدوارد هال، وإلى الوظيفة الرمزية للفضاء الحضري.

---

[1]Miller, op.cit., P.3.

[2]Bell, op.cit., P79.

*City Branding.

[3]Ibid., P. 86.

*City Skyline.

[4]Gottdiener, op.cit., P.10.

[5]David Bell and Kate Oakley, Cultural Policy, (New York : Routledge. 2015), P.80.

تصوغ الثقافة تجربة الإنسان للفضاء وتوجه السلوك البشري داخله. فكر في المنطق الذي يرتب حسبه الأثاث في الغرف، والغرف داخل البيت، والبيت في المدينة. يختلف هذا المنطق من سياق إلى سياق ومن بيئة إلى بيئة. قد يقود الإخفاق في فهم هذا البعد عند تخطيط المدن إلى خلق صراعات ثقافية. يمكننا ابصار العالم المادي المحيط بنا وادراكه، لكن البعد المضمر –الثقافة-قوة ثاوية ذات آثار ونتائج مهمة.*

لتناول الجانب الثقافي والرمزي في المدينة، يجب أن نعود إلى البدء. كيف لنا أولا أن نتحدث عن الثقافة داخل الفضاء؟

المطلب الأول: من الفضاء الفيزيقي إلى الفضاء الاجتماعي والفضاء موضوعا للسلطة

يمكن حصر الأطروحات الفلسفية التي عالجت مسألة الفضاء في مذهبين: ينزع الأول إلى عد الفضاء حقيقة مطلقة، ويرى الثاني أن الفضاء مفهوم علائقي نسبي. وقد درج استهلال هذه السجالات الفلسفية برأي إسحاق نيوتن* الذي خلاصته أن الفضاء مطلق وحقيقي بالمعنى الهندسي الإقليدي، أي أنه كيان مستقل عما يشغر. الفضاء مطلقٌ ثابتٌ وخاوٍ، فراغ في انتظار ما يملأه، إنه جراب ووعاء: ***"الفضاء المطلق، بطبيعته، وبغض النظر عن كل شيء خارجي. . . يظل دائمًا متماثلا وثابتًا. الفضاء النسبي هو بعد متحرك أو مقياس للفضاء المطلق الذي تحدده حواسنا من خلال موقعه من الأجسام."*** [1]

غوتفريد ليبنيز* مؤسس النظرة الحداثية للفضاء، آمن أن الفضاء علاقي غير مستقل عن الأشياء والأحداث ولكنه يتكون من العلاقات بينها. الفضاء هو النظام الذي يجعل الأجساد قادرة على الانوجاد والتموقع، من خلاله يكون لها وضع فيما بينها.[2] حاول ايمانويل كانط* التوفيق بين هاتين الرؤيتين.

يعيد هنري لوفابر*اكتشاف الفضاء كمنتوج اجتماعي يخفي تناقضات إنتاجه. يشرح تكون الفضاء الاجتماعي من خلال ثالوث مفاهيمي:

الممارسات الفضائية(كالمساحات التي تم إنشاؤها من خلال الممارسات الحية)،

وتمثيلات الفضاء (الخرائط ونظريات التخطيط)،

والمساحات التمثيلية.

---

*The hidden dimension. Edward T. Hall. doublday. 1990. New york. :أنظر

*Isaac Newton (1643-1727).

[1]Setha Low, **Spatializing Culture The ethnography of space and place,**(New York : Routledge, 2017), P.14.

*Gottfried Wilhelm Leibniz، فيلسوف وعالم ودبلوماسي ألماني (1646-1716).

[2]Ibid., P.15.

*Immanuel Kant (1724-1804).

*Henri Lefebvre، فيلسوف ماركسي وعالم اجتماعي فرنسي، صاحب مفهوم الحق في المدينة وإنتاج الفضاء (1901-1991).

يسعى هذا النموذج للكشف عن طرق إنتاج الفضاء وفضح التناقضات الاجتماعية. وعرض الوسائل الخفية التي تنتج الفضاء.[1]تشكيل الفضاء حسب لوفابر لا يقتصر على البناء المادي فحسب، ولا على العملية الاقتصادية وحدها، ولكنه يتطور في خضم ديناميكية اجتماعية وفكرية كذلك. المكان ليس حقيقة خاملة أو معطى، لكنه منتوج جماعي يعكس قيم من يشكله.

أما ميشال فوكو فقد بحث العلاقة بين القوة والفضاء من خلال افتراض الهندسة المعمارية كتقنية سياسية تخدم مساعي الحكومة في السيطرة وفرض السلطة. الهدف من هذه "التقنية" تخليق جسم "سهل الانقياد" من خلال تطويق وتنظيم الأفراد في الفضاء، والتحكم في حركة أجسادهم ومراقبتهم. تسهم الهندسة المعمارية والتخطيط الحضري في الحفاظ على قوة مجموعة واحدة على حساب غيرها.[2]

الفضاء ليس فارغًا أبدًا: إنه يحمل دائمًا معنى".[3]بالنظر إلى نوع دراستنا فنحن نهتم بطرائقاخضاع الفضاء المادي والعلاقات الفضائية الجماعات والأفراد أو تحريرهم ممن يملك السلطة. فالتخطيط الحضري تطويق لحركة الجسم ومستوىمن التحكم السياسي.

ان المجتمعات تتمظهر فضائيا، فهي تحتل مناطق ينتقل داخلها وفيما بينها الأشخاص ومختلف العمليات الاجتماعية، والنظم القيمية. من خلال الفضاء ندرك وجود المجتمع في المقام الأول، ويرتب المجتمع أفراده وجماعاته فيه وفق منطق تراتبي، بدرجات من التجميع والفصل، ينتج عنها إمكانيات أو صعوبات الحركة واللقاء.[4]

وهكذا نخلص إلى أن البيئة المبنية تنتج عن الاحتياجات الاجتماعية وتستوعب مجموعة من الوظائف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية، ان صورة الفضاء وتنظيمه لا تحكمه القوى المادية وحدها، بل أفكار المجتمع وأصناف النظم الاقتصادية والاجتماعية وتوزيع النظام السياسي للموارد والقيم داخل المجتمع-بتعبير "ديفيد استون".

يعبر تنظيم الفضاء عن مصالح الجماعة المهيمنة. لذا تنبثق في لحظات تاريخية معينة، حركات اجتماعية تتحدى معنى البنية المكانية،[5] تقودها الفئات المهمشة في موقعها داخل الفضاء الاجتماعي. لذلك يساعد النظر إلى الفضاء كمنتوج اجتماعي منتج بدوره، بتعبير لوفار، المصممين والمخططين الحضريين على استباق النتائج المحتملة لنماذج التصميم.[6]إذ أن التغيير الاجتماعي يؤدي إلى تحولات عميقة في بنية البيئة المادية وصورتها. يجب أن نعرف أن هذه

[1]Ibid., P.18.
[2]Ibid., PP.18.19-
[3]Ibid., PP.17-18.
[4]BILL HILLIER JULIENNE HANSON**, The Social Logic of Space**,(New York : CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, 2003),PP.26-27.

[5]Low, op.cit., P.41.
[6]Hanson, op.cit., P. 29.

التحولات ليست نتيجة ثانوية للتغيرات الاجتماعية، ولكنها جزء جوهري منها وإلى حد ما مسببة لها.[1]

ان التنظيم المكاني هو أحد أهم الوسائط التي تظهر من خلالها الاختلافات الثقافية بين المجتمعات. تتبدى صورة الفضاء وتنظيمه كجزء من الثقافة لأنها-أي صورة الفضاء-قائمة على مبادئ عامة تعيد إنتاج أنماط فضائية مماثلة، **ومن خلال تكرار هذه الأنماط نتعرف على الثقافة في الفضاء.**[2]

تمظهر الثقافة في الفضاء عملية حوارية تربط الإنتاج الاجتماعي للفضاء بالبنية الاجتماعية لمعاني الفضاء. إنه يجمع بين الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والأيديولوجية لإنشاء البيئة المادية مع الرمزية والعمليات الاجتماعية مثل التبادل والصراع والسيطرة. تشير البنية الاجتماعية إلى تشكيل الفضاء من خلال اللغة والتفاعل الاجتماعي والذاكرة والتمثيل والسلوك والاستخدام حتى بلوغ معنى متنازع عليه لأسباب اقتصادية وسياسية وأيديولوجية. [3]

بعد عصر التصنيع، تواجه المجتمعات مشكلة البيئة "المصممة" التي لا "تعمل" اجتماعيًا، أو التي تولد مشاكل اجتماعية كمشاكل العزلة، والانحلال المجتمعي.[4] لأنها تستورد نماذج "عامة" جاهزة لا تتفق بالضرورة مع ثقافتها.

المدينة معاقل للخيال. نتحدث هنا عن تأثير المدينة على المخيلة وعن كيفية تخيل المدينة، إذ تعملالبيئة المادية للمدينة على اثارة الخيال أو تقييده. قد تكون الفضاءات الحضرية مواقع تحفيز للخيال، يجتمع فيها ذوو الأفكار المختلفة معا ويتبادلون المعرفة والأفكار. وقد تعمل المدينة والتجربة الحضرية على فصل الذات عن محفزات الإبداع. فالاغتراب بالنسبة لماركس مثلا، هو نتيجة علاقات الإنتاج الرأسمالية. لكن حتى في فضاءات الاغتراب المقيدة بخط الإنتاج، تشكل أفاعيل الخيال مثل أحلام اليقظة مواقع للمقاومة. في دراسة إنجلز لمانشستر عام 1844، خلص إلى أن فصل العمال في مساكن متباينة الجودة ومناطق هامشية أدى إلى فصل خيالاتهم وقمع إمكانية اجتماعها معًا لتشكيل وعي ثوري.[5] إن خنادق المدينة هذه هي خنادق حفرتها المخيلة.

ان المسافة بين الذات وبين الدوافع والرغبات والمخاوف الأعمق تظل موضوعًا لفهم الحالة الحضرية. قد يعرض النسيج الحضري لمحات عن دوافع نفسية أعمق، وقد يعمل على إبقائها تحت السيطرة.

---

[1] Ibid., P.27.

[3] Low, op.cit., P.7.

[4] Hanson, op.cit., P.29.

[5] Gary Bridge, Sophie Watson, **A Companion To The City**, (Blackwell Publishing, 2003), P.11.

يمكن أن تروى المدينة بأساليب شتى، ان الممارسات الخطابية تشكل المدن أيضا، حتى أن الحدود بين المدن الحقيقية والمتخيلة متداخلة وغير بينة.[1] بالنسبة للخطاب الحضري، فان تمثيل المدن في النصوص الأدبية والفنية والسينمائية يصوغ جزئيا صورة المدينة.

تجد التصورات المختلفة عن المدينة، المعبر عنها في النصوص الأدبية والفنية والسياسية، طريقها إلى التصميم والتخطيط الحضري. نضرب مثلا التخيلات المعادية. هنا المدينة موقع للاغتراب، واعتلال الصحة، والفوضى، والتلوث، والازدحام، وتهديد النظام الاجتماعي. مثل هذه التصورات تدفع إلى احتواء الجماهير الحضرية وتطويقها للسيطرة عليها، لأن الخيال هنا يرسم المدينة موقعًا للجريمة والثورة، لذا يجب منع الجماهير من اللقاء والتجمع. هناك من التصاميم الحضرية وخطط المدن (مثل تصاميم لو كوربوزييه)، ما يجسد، بشكل ضمني، تصورات المدينة كفضاء يجب ترويضه والسيطرة عليه.[2]

الرهان هنا هو معرفة من المستفيد من الخطابات والتصورات المختلفة للمدينة، وفهم علاقات القوة والمعرفة، لأن الخطط والتصميمات الحضرية ليست أدوات محايدة للتنظيم المكاني. إذا أخذنا قوة الخيال على محمل الجد، فحينئذٍ نحتاج أيضًا إلى طرح أسئلة بخصوص المؤسسات التي فيها تنتج التصورات وآثارها. [3]

المبحث الثاني: السيميائية الحضرية

ما معنى أن نتناول المدينة رمزا؟ الرمز استدعاء لدلالات موازية، والرموز أنواع فهي إما خطابية (شفهية أم مدونة كانت) يفصح عنها وسيط اللغة، أو تعقل بوسائط الحواس فيكون الرمز مرئيا أم مسموعا أم ملموسا أو نخبره عبر حاسة الشم أو التذوق.[4] هذه الرموز هي موضوعات سيميائية.

وفقا لدي سوسير* فان السيميائية هي ***"العلم الذي يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية"*** .[5] تخوض السيميائية لعبة المعاني والدلالات التي يثيرها الموضوع السيميائي وتسعى إلى الكشف عنها. تعيننا السيميائية، التي تنظر إلى **جميع الظواهر الثقافية كأنظمة علامات**-على تفسير العلاقة التي تنشأ بين أهل المدينة-المستخدمين-وبين صورة المدينة. المدينة في هذه الحالة، وكما في النموذج الذي خرج من معهد شيكاغو أول الأمر "مخبر اجتماعي"، فضاءاته رموز وأنظمة علامات ومواضيع للتفسير.[6]

---

[1]Ibid., P.14.

[2]Ibid.

[3]Ibid., PP.15-16.

[4]Joseph Courtés, **LA SÉMIOTIQUE DU LANGAGE**, (Paris : ARMAND COLIN. 2007), P.08 .

*Ferdinand de Saussure (1857-1913).

[5]Ibid., P.22. « *Science qui étudie la vie des signes au sein de la vie sociale* »

[6]Carlos RecioDávila,**Les images de la ville. Une approche à la sémiotique urbaine. Penser la ville – approches comparatives**, (Algérie : Khenchla,Oct 2008), P.237 .

ان المجتمع ينتج ويستهلك رموزه. من موضوعات السيميائية الحضرية تخطيط المدن، وهندستها المعمارية، وأسماء فضاءاتها، والطقوس التي تمارس داخلها، علاوة على أساطيرها والنصوص الأدبية والشعرية والأفلام والموسيقى التي تصب في وعاءها. هناك أربع أنواع من الرموز: الرموز المادية، والخطابية، والأيقونية،*والسلوكية.*[1]

في البيئة المادية للمدينة دلالة على تعقيد المجتمع. رغم أن هيئتها ثابتة في الظاهر، إلا أنها منتوج في حالة مستمرة من التحور. يلعب المستخدم نفسه دورا مهما في تكوين المدينة عبر الصورة التي يحملها عنها في ذهنه. كما أن عنده القدرة على تحوير تلك الصورة لتلائم احتياجاته. يشكل المستخدمون مفهومهم عن المدينة بتفاعلهم مع الرموز المادية التي تحيط بهم في الفضاءات الحضرية خاصة، وانتاجهم وتأويلهم لبقية أنواع الرموز كالخطاب الحضري. في المحصلة تتداعى وتتكدس العديد من الصور الفردية للمدينة لتنتج صورة عامة، صورة جماعية.[2]يقول كيفن لانش:

"العناصر المتحركة في المدينة [وبالأخص الأفراد]، مهمة بقدر أهمية الأجزاء الفيزيقية الثابتة. نحن لسنا مجرد متفرجين على المشهد، لكننا جزء منه، على المسرح مع الفاعلين الآخرين. ادراكنا للمدينة ليس ثابتاً بل هو جزئي ومتشظ وممزوج باعتبارات أخرى. إن كل الحواس تقريبا في اشتغال، والصورة هي مركب عملهم جميعا". [3]

الصور الذهنية أو الصورة الثانية هي صورة الفضاء التي تطبع في أذهان المستخدمين، والتي تشكل تصوراتهم عن الفضاء الذي يعيشون فيه، عن أنفسهم والآخرين.[4]صورة الفضاء* نتاج عملية ذات اتجاهين بين الناظر والمنظور: البيئة تقترح علاقات، أما المشاهد فينظم ويصنف وينتقي ويمنح معان لما يراه–بقدر من المرونة وعلى ضوء قصده، وبهذا قد تختلف الصورة الواحدة من مشاهد الى اخر.[5]

* يقصد بالرمزية الأيقونية الأشخاص الذين يمثلون المدن، جماعات أم فرادى.
*مثل الطقوس، وهي أفعال معيارية متكررة في إطار بناء المعنى.

[1]Peter, op.cit., P.9.

[2]Kavin Lynch, **THE IMAGE OF THE CITY,** the Massachusetts Institute of Technology and the President and Fellows of Harvard College Twentieth Printime. 1990, P.6.

[3]Ibid., P.2.

[4]Davila, op.cit., P238.

*المحيط الفيزيقي المتجانس ينتج صوراً بليغة تلعب دورا اجتماعيا هاما لأنها محملة بالرموز الراسخة في المخيال الجمعي والمألوفة. وضوح صورة البيئة المادية يمنح إحساسا بالأمان، ويسمح بتكوين علاقة متناغمة بين الانسان وبين العالم الخارجي، مقابل الخوف الذي يولده التوهان. المحيط المقروء والبليغ يزيد التجربة الإنسانية غنى وعمقا.

[5]Lynch, op.cit., P.6.

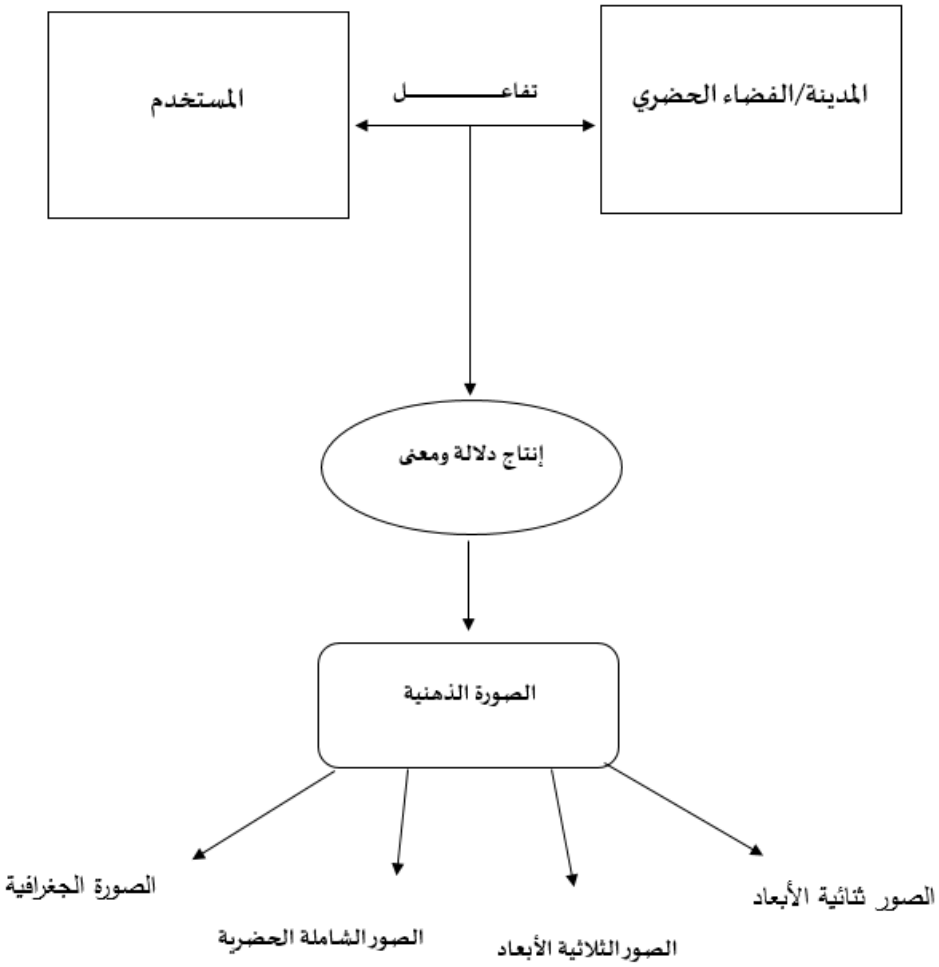

*الشكل (01): انتاج الصورة الذهنية

يحدد كيفن لانش ثلاثة مكونات تتفاعل حين تكوين صورة الفضاء الذهنية:

- **الهوية:** التعرف على موضوع كوحدة مستقلة.
- **النسقية:** العلاقة الفضائية أو النسقية بين الموضوعات وبين المشاهد والموضوع وبين المشاهد وكافة الموضوعات داخل النسق.
- **المعنى:** الدلالة والمعنى التي يستحضرها الموضوع في ذهن المستخدم.

يضرب لانش مثلا بموضوع هو الباب: ***" صورة الباب تتضمن التعرف على الباب بوصفة وحدة مستقلة، والتعرف على علاقته المكانية بالمشاهد، وإلى معناه ككل: فجوة للنفاذ"*** .ان التعرف البصري على الباب ملاصق للتعرف على معناه كمنفذ[1]. هذه الخصيصة هي

[1]Ibid., P.8.

"الصورية"*وتعني قدرة الأجسام الفيزيقية على ايقاظ وبعث صور خصبة في الذهن، عن المواضيع الفردية وللبيئة الكلية المنظومة في نسق معقد.[1] تيسر الصورية صوغ صور ذهنية واضحة.

تتشابك الصورية مع "المقروئية"*. في حالة البيئة الحضرية المعقدة والمتغيرة تعد هذه السمات أساسية في التأثير على تجربة المستخدمين وتفاعلهم في المدينة، لأن المفترض في صورة المدينة أن تكون معبرة بشكل براغماتي، أي أن تكون قادرة على سوق الفرد إلى وجهته وعلى تبينه موقعه، يجب أن تكون واضحة ومقروءة* مع فائض من العلامات لتفادي التيه. المدينة "المقروءة" بهذا المعنى واضحة ومجلوة، تدعو الحواس الى المشاركة في صوغ التجارب اليومية. مثل هذه المدينة يمكن أن نعقلها كنسق من الاستمرارية مع العديد من الأجزاء المميزة المترابطة.[2]

يمكن تصنيف مكونات صورة المدينة:

- **الصورة الحضرية الشاملة** (تخطيط المدينة)
- **الصورة الجغرافية** (الخرائط، والطبوغرافيا)
- **الصور ثلاثية الأبعاد** (المباني والمنازل والمنحوتات...إلخ. لتحليل الصور ثلاثية الأبعاد للمدينة لا بد من الانطلاق من وسط المدينة، طبيعة مواد بنائها ونمطها المعماري)
- **الصور ثنائية الأبعاد** (الجداريات والملصقات الإعلانية).[3]

المطلب الثالث: المشروع الاستعماري وتغريب الفضاء الاجتماعي

ينتج المجتمع البيئة الماديةالتي تحافظ على تنظيمه الاجتماعي وتعززه. لقد ساهم المعمار وتخطيط المدن الاستعماري والعلاقات السوسيوفضائية التي يقترحها، في استقبال ودمج الأنماط الحضرية العالمية في المستعمرات السابقة. عمل الفضاء الاستعماري والعمارة الاستعمارية كمنتوج لنظام مسعاه الهيمنة، وكمنتج يخلق فضاءات مستحدثه، ويوطئ لممارسات اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية جديدة.[4]

الظاهرة الاستعمارية تصف وحدة سياسية تهيمن عليها قوة خارجية وكياناً يتضاعف في بيئة خارجية. في عدد من المستعمرات تنتقل أقلية من النخبة من المركز الإمبراطوري إلى

*imageability
[1]Ibid., PP.9-10.

*visibility.
*الألفة والتعود قد تجعل مواضع فوضوية "مقروءة"، أو المواضع التي تشاهد للمرة الأولى لكنها تخضع الى صورة نمطية كونها المشاهد من قبل.

[2]Ibid., P.10.
[3]Dávila, op.cit., P.238.

[4]Low, op.cit., P.37.

المستعمرة من أجل إقامة شكل معين من الهيمنة من خلال علاقات اقتصادية. المسعى هنا استغلال موارد المستعمرة الطبيعية في سبيل المركز الإمبراطوري، ويشكل المُستَعمَرون غالبية السكان.[1]

أما في المستعمرات الاستيطانية مثل أستراليا أو الجزائر، فيختلف القصد والبنية. هذه المستعمرات اغتصاب للأرض سعيها نسخ "المركز الإمبراطوري" في مكان جديد، واستبدال الشعوب الموجودة في تلك الأراضي، ومحو نظامها الاجتماعي والثقافي. يجيء المستوطنون للبقاء، ما يعني أنهم يسعون-إلى انتزاع ملكية أراضي السكان الأصليين ومحو أساليب حياتهم وحكمهم. وهذا يعني أن علاقات الهيمنة بين "الشعوب الأصلية" والمستوطنين المستعمرين تدور حول الفضاء والأرض والسيادة.[2]

يقول إدوارد سعيد أن الإمبريالية هي ***"فعل عنف جغرافي يتم من خلاله استكشاف كل مساحة في العالم ورسمها ووضعها تحت السيطرة في النهاية"***.[3]ان عملية الاستيطان تمسي حقيقة فقط عند بناء وتشكيل الفضاء. تظهر البيئة المادية الحضرية وتتشكل من أعمال المستوطنين الذين يقيمون المنازل والمساحات والطرقات على "أراضيهم الجديدة". ونحن ندرك أن هذه المنازل والمساحات مصنوعة على أراض تخص مجتمعا مختلفا، ذا أنظمة اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية متمايزة. ان صوغ الصور الحضرية هو في الواقع ركيزة بنية ومنطق الاستعمار الاستيطاني. إن انتاج البيئة المبنية، وخاصة الحضرية، يؤكد استلاب أراضي السكان الأصليين.[4]

كما لاحظ إدوارد سعيد، فإن "الحيازة الجغرافية" حاسمة في أي مشروع استعماري.[5] في المستعمرة الاستيطانية، تعد الأرض مصدر قلق مركزي. مما يعني أنه يجب النظر إلى الاستعمار الاستيطاني على أنه بنية وليس حدثًا. وهذا يجعل الأرض، بدلاً من الموارد، محور للعلاقة الاستيطانية. في هذه الحال: ***"[يجب] عرض الاستعمار كعملية [متواصلة]، كبنية، وكعلاقة سلطوية."***[6] لا كلحظة تاريخية، لأن البيئة المبنية وخاصة الحضرية تضمن استمرار البنى والمفاهيم الاستعمارية.

تفصح البيئة المبنية للمدينة عمن يحكمها ويملكها. ان المدينة الاستعمارية هي امتداد للإمبراطورية، وتعمل فضاءاتها على الجهر بذلك. ويتجلى ذلك في الطرز المعماري

[1]Dallas Rogers,(ED), **Understanding urbanism**,Indigenous Cities, (2020), P.17.

[2]**Ibid., P.18.**

[3]Jane M. Jacobs**, EDGE OF EMPIRE Postcolonialism and the city**, (New York :Routledge, 2002)P. 19.

[4]Rogers, op.cit., P.21.

[5]Ibid.

[6]Ibid., P.17.

والتخطيط الحضري خاصة، وقد جلب الاستعمار معه بدعا معمارية غريبة إلى النسج الحضرية المستعمرة.

بعد أن تسيطر القوى الاستعمارية على الفضاء، تنتقل إلى مهمة على نفس القدر من الأهمية للمشروع الاستعماري، إذ أن نجاح الاستعمار الاستيطاني في سعيه، محكوم بعد السيطرة المادية، بالسيطرة على المخيال، على أن يستوطن رمزياً في المخيلة الجماعية للمستعمَرين.

إن إنشاء البلدات والمدن والتدخل في النسيج الحضري الأصلي لا ينقل ملكية أراضي السكان الأصليين الى المستوطنين فحسب، بل ينشر خيالا مفاده أن السكان الأصليين لا حق لهم في هذا الفضاء. فضاءات المدن الاستعمارية الاستيطانية مواطن تقاسي فيها القاطنة الأصلية تناقضات عنيفة. فبينما هم غالبا المكون الأكثر كثافة، وبينما ذاكرة الفضاء تنضح بتاريخ أسلافهم، إلا أن إعادة الإنتاج القوى الاستعمارية للفضاء تسعى أولا إلى محو ذاكرتهم الحضرية، وحجبهم في الفضاء الحضري.[1]

دور الخيال الفضائي في المشروع الاستعماري أكثر وضوحًا في الممارسات رسم الخرائط وتسمية الفضاءات. ان علم رسم الخرائط (الكارتوغرافيا) ليس علما "بريئاً". سعت عملية رسم الخرائط ضمن المشروع الاستعماري إلى تمثيل "حقيقة" مستقرة ومعروفة في "الأراضي الغريبة" التي يسكنها غرباء.[2]

[1]Ibid., P.22.

[2]Ibid., P.19.

الفصل الثاني: المدن في الجزائر والفضاء الاجتماعي تحقيب تاريخي

***

المبحث الأول: النسيج الحضري والاجتماعي في الجزائر قبل 1830

المطلب الأول: النسيج الحضري قبل 1830

تتبع واقتفاء التاريخ الذي قيدته الكلمة-الوثائق التاريخية-إضافة إلى الآثار الأركيولوجية في الجزائر، يمدنا بالدلائل على انعتاق قسمة من السكان من حياة الزراعة والريف، وانكبابهم على أنشطة موازية متخصصة مكملة للنشاط الزراعي المجاور موقعه هذه المستوطنات الحضرية. ما يعيننا على التسليم بحصول التمدن قديما في الجزائر. بعض من رسوم المستوطنات الحضرية في البلد تعود إلى مدن ولدت قبل المسيح (ع): سيرتا (قسنطينة)، إيكوزيوم (الجزائر العاصمة)، القيصرية (شرشال)، هيبون (عنابة)، وتبسة وتلمسان وميلة وباتنة وهلم جراً.

إذن التمدن عمره في الجزائر من عمر حضارات البحر المتوسط، ورغم أن عدد سكانها قليل مقابل عدد سكان الأرياف إلا أن هذه المستوطنات الحضرية كانت مصدرا للقرارات السياسية والعسكرية والإدارية. [1] ان كل دولة أو دويلة تدول وتقوم تتخذ مدينة تكون لها عاصمة ملك وسياسة وإدارة.

حين دان أهل المنطقة بالإسلام، تسربلت تلك المدن بلبوس المدينة الإسلامية، واعتنقت أحكام بنيانها وما تعارفت عليه منذ صدر الإسلام*. امتازت المدن الجزائرية إذ ذاك بنسيج حضري متناغم ومتماسك في بنيتيه المادية والمعنوية، غالب عليها طابع الانبساط فتمتد أفقيا بتساوق.*[2] وقد سار التطور العمراني لهذه المدن حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر بتماهي مع طينة مجتمعه، هذا الذي أنشأ هياكل عمرانية بارعة يدلل على براعتها تنظيمها الحضري ومياسيمها المعمارية والوظيفية، التي أطاعت احتياجات ومتطلبات أهلها. وقد عرفت في الجزائر قبيل الاستعمار الفرنسي مدن مهمة: "***فبالإضافة الى الجزائر وقسنطينة وتلمسان: كانت هناك معسكر وملیانـة والمدية والبليدة ووهران ومسيلة وزمورة وميلة وبوسعادة وتبسة وبسكرة ومازونـة والقلعة، والبرج وندرومة وبجاية وعنابة وشرشال والقل وتنس ومستغانم***". [3]

---

[1] جامعة سعد دحلب بالبليدة كلية الحقوق قسم القانون الخاص مذكرة ماجستير التخصص: القانون العقاري قانون المدينة في التشريع الجزائري فتيحة شمام، البليدة ، ماي 2012. 48

* كان أول ما بنى الرسول محمد (ع) المسجد. وبعد استكمال بناء المسجد، بنيت منازل الرسول والمهاجرين. ثم اختار الرسول أرض تكون سوقا للمدينة التي تغير اسمها من يثرب إلى المدينة، بعدما نظر إلى سوق المدينة الأول وقال: "ما هذا لكم بسوق". ان هذا الترتيب له رمزيته.
* من أحكام البناء الإسلامية ألا تبني بناء يعلو بناء جارك إلا اذا أذن لك، لئلا تحجب عنه ضوء الشمس، لذلك لم تكن المنازل ترتفع كثيرا.

[2] جامعة سعد دحلب بالبليدة كلية الحقوق قسم القانون الخاص مذكرة ماجستير التخصص : القانون العقاري قانون المدينة في التشريع الجزائري فتيحة شمام، البليدة ، ماي 2012. 33

[3] تاريخ الجزائر في القديم والحديث. الجزء ٣. مبارك بن محمد الهلالي الميلي. مكتبة النهضة الجزائرية. الجزائر. 1964. ص315.

يضمن المركزية في المدينة مسجد كبير إلى جانب نظام الأسواق التي تنتظم الأحياء السكنية حولها: فيتوسط المدينة مسجد، وتنظم الأسواق بتراتبية حسب الاختصاص، على هيئة حزم تكون فيها أنبل الصنائع الأدنى إلى مركز المدينة، أي في تسلسل هرمي تصاعدي باتجاه المركز تنازلي باتجاه الأطراف.

وقد يعقد النشاط التجاري المحلي في الاسواق الجهوية التي تبعث في ايام بعينها من الاسبوع، بحيث يتمكن كل سكان الناحية من الوفود على السوق والاتجار فيه. كما كانت هناك أسواق المدن التي تنصب عند مداخل المدن الكبرى. وقد اتصلت اسواق المدن بالاسواق الريفية، فيقدم سكان الريف الى المدينة للتبضع، أو يرتحل الوسطاء من التجار بين الاسواق المحلية ليقتنوا المنتجات الزراعية وغيرها ثم يعرضونها في اسواق المدن. حالت قلة تطور شبكات مواصلات دون تطور العلاقات بين هذه الاسواق حتى اقامة مراكز تجارية كبرى. وكانت الطرق الموجودة تقتصر على الربط بين اهم المراكز مثلا بين الجزائر وتلمسان عبر بوفاريك والبليدة وملیانة ووهران، وبين الجزائر وقسنطينة. [1]

وقد كانت ألوان الصنائع مشهودة في الجزائر قبل الاستعمار الفرنسي من نحو ما عرفت أوروبا، كالنسيج والحدادة والصياغة وصناعة السلاح ونحو ذلك. وتدل المباني والمنازل على ازدهار صناعات الخشب والزجاج وفنون البناء. وتدل اساليب وقنوات الري ان الجزائر حافظت على التقدم الذي أصابته عند ازدهار الحضارة الاسلامية. [2]

من خصائص المدن الكبرى جمع سكان من جهات متنوعة. في العهد العثماني استأثر الأتراك وخاصتهم بشؤون الحكم ولهم من الأراضي والدور أحسنها. أما القبائل الموالية لهم فمُلِكت الأراضي الخصبة، ومارست التجارة. عرف المهاجرون من وادي ميزاب باشتغالهم قصابين أو بتسييرهم الحمامات والطواحين. أما القادمون من بسكرة فاختصوا بنقل الماء. أما القادمون من الجبال فكثيرا ما اشتغلوا أجراء. وقد كانت المدن الكبيرة محور نشاط وحياة اجتماعية هامة، تجد فيها المطاعم والفنادق والمدارس.[3]

أما ملكية الأرض كانت هناك أربع طرق لملكية الأرض. ثلاثة من هذه الأساليب الأربعة كانت تستند إلى مبدأ الحيازة المشتركة وتجنب التجزئة وبالتالي الاستخدام المكثف للأرض كما هو موجود في المناطق الريفية المستقرة أو في المناطق الحضرية.

- **ملكية البيليك**: هي نوع من ممتلكات الدولة، تستغل في الزراعة تركزت في أغنى الأراضي الزراعية، في السهول التي يمكن الوصول إليها وحول المدن.
- **ملكية العرش**: هذه القبائل المعنية أو مجموعات السكان من النوع القبلي. تم استغلاله من قبل العائلات المكونة للجماعة ولكن حيازته المشتركة مكفولة بسلطة الجماعة على الأفراد. هناك أيضًا تم تجنب تقسيم الأرض.

[1] تاريخ الجزائر في القديم والحديث. الجزء ٣. مبارك بن محمد الهلالي الميلي. مكتبة النهضة الجزائرية. الجزائر. 1964. ص313.
[2] تاريخ الجزائر في القديم والحديث. الجزء ٣. مبارك بن محمد الهلالي الميلي. مكتبة النهضة الجزائرية. الجزائر. 1964. ص314.
[3] تاريخ الجزائر في القديم والحديث. الجزء ٣. مبارك بن محمد الهلالي الميلي. مكتبة النهضة الجزائرية. الجزائر. 1964. 315.

- **الوقف**: وهي سلع تم تخصيص دخلها بشكل ثابت للمؤسسات الدينية والخيرية. تقع عقارات الوقف بشكل خاص في البلدات والريف المحيطة. إن الوقف بطبيعته مستبعد من سوق الأراضي وهو عامل ملكية مشتركة وتجميد للأرض ، لكن كان له دور رائد في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمدينة وتطور المساحات العمرانية ما قبل الاستعمار. وشهدت توسعًا كبيرًا ، خاصة في المدن وضواحيها. [1]
- **"الملك"**: هذا هو النوع الوحيد من الملكية الخاصة المدمجة في سوق الأراضي ، مجزأة وقابلة للقسمة. كانت أقلية وتوجد بشكل خاص في المدن وحولها ، وكذلك في المناطق الريفية المستقرة.

المطلب الثاني: النسيج الاجتماعي قبل 1830

نمط الحياة في الجزائر قبل الاستعمار إما نمط بدوي (موجود في الصحراء –إلا ميزاب-، وفي السهب، والسهول الداخلية المرتفعة) أو حضري (الهضاب الجبلية –التل-وحول الساحات الصحراوية) بين هذين النمطين أنماط أخرى نصف-البداوة في الأوراس والرعاة الزراعيون في الهضاب الساحلية. 97. تقسيم الأراضي سيؤدي الى تغيير التنظيم الاجتماعي، وأول الانعكاسات تفتيت القبائل وفروعها.

- **البدو: سكان الجنوب الكبير يحلون صيفا في مواطن غير التي يحلون فيها شتاء، ويسكنون الخيام، يبحثون عن المراعي في تنقلاتهم.**
- **نصف البدو:** يقطنون السهوب شبه الصحراوية، والسهول شحيحة الأمطار. هم سكان السهول العليا الذين يجمعون بين النشاط الرعوي والزراعي، وسكان الأوراس الذين رغم سكناهم بقرى إلا أنهم ينتقلون مرة في السنة. تفرض الحتمية الجغرافية على هؤلاء على العيش ما بين الإناخة والترحال. استيلاء الاستعمار على الأراضي وطرد سكانها أدى إلى الإقامة الدائمة بأراض جماعية، بنى الحضريون الجدد الجوربي ليظهروا حقهم بملكية الأرض، وهكذا تلاشى نمط شبه البداوة بسبب الإقامة الدائمة.
- شبه الحضريين: الذين ينتقلون بحكم الضرورة.
- الحضر: وجد ظروف مواتية في الجبال بسبب هطول الأمطار ما يسمح بالاستقرار: جبال جرجرة مرتفعات مليانة، جبال تلمسان، مرتفعات الأوراس الشمالية. الكثافة السكانية هنا أعلى. 109. إضافة الى الواحات، نتحدث هنا عن واحة ميزاب.

وبالعود إلى الدور والمنازل، فقد علمنا مما سبق ذكره أن المنزل التقليدي يعكس ثقافة كل مجتمع. يأتي متناغما مع المناخ والعناصر الجيولوجية وأنهج الحياة، مصمما وفقًا المعتقدات الخاصة بكل ثقافة، **فمساحة المنزل هي نقش روحاني ورمزي.** [2]

العوامل الجغرافية والجيولوجية-القوى المادية-حتمية يجب مطاوعتها في الأزمنة التي لم تعرف التصنيع، لكن هذا لا يعني إشاحة النظر عن أهمية العوامل الاجتماعية والثقافية،

[1] Maouia saidouni. 173.
[2] Nadajt. 14

فالمتبصر يرى أن المناخ الواحد قد ينتج فيه صور دور مختلفة، وقد تنتج أشكال دور بينها الشبه الكبير في مناخات مختلفة تماما.[1] في الجزائر هناك-حسب المناخ والتضاريس-انقسام بين التل والصحراء، بين سكان الجبال وسكان السهول والتلال.[2] وبالنتيجة اختلاف في نمط الحياة وصور الدور والمنازل.

يتحدث بورديو عن "أساس" بنية الأسرة والمجتمع: الارتباط بالماضي والأجداد والتقاليد والدور الاجتماعي والاقتصادي لكل فرد من أفراد الأسرة. الهياكل الاجتماعية على الرغم من تنوع الأجناس وأساليب الحياة يجعل من الممكن تحديد خصائص الأسرة الجزائرية التقليدية:

- **عائلة أبوية**: الأب أو الجد هو القائد الروحي لمجموعة العائلة، وينظم إدارة التراث المشترك ويحافظ على تماسك المجموعة بفضل الانضباط الصارم.[3]
- **العائلة غير مقسمة**: تعيش العديد من الأسر معًا تحت سقف واحد منازل كبيرة للأشخاص المستقرين وخيام كبيرة للبدو. الذكور لا يغادرون المنزل الكبير ويشكلون خلايا من الأزواج مع ذريتهم. منزل كبير يمكن تمديده ببناء غرف جديدة حسب الحاجة. يمكن أن تعيش المجموعة في منزل كبير واحد أو في منازل صغيرة مجمعة معًا. لكن المنزل الكبير هو الذي يقدم أهم خصائص التنظيم المحلي للعائلة الكبيرة. يسمح التصميم الداخلي لكل زوجين وأطفالهما بالحفاظ على خصوصيتهم والحد الأدنى من الاستقلالية الوظيفية. الفناء هو نقطة التقاء جميع أفراد الأسرة. الشيء الرئيسي هو الهروب من أنظار المارة.

الانطوائية هي السمة الرئيسية لهذه المنازل لأن الغرف تستوعب الهواء والضوء من فناء مركزي محاط بمعرض. هذا الفناء مفتوح جدًا من الشمال ويضيق إلى الجنوب ليصبح كوة للحفاظ على الغرف في الطابق الأرضي باردة وحمايتها من حرارة الشمس. يعد هذا الانطواء أيضًا ضمانًا للعلاقة الحميمة في الحياة الأسرية نظرًا لأن هذا الفناء هو مكان معيشة النساء والأطفال وهو محمي من النظرة الخارجية بواسطة مدخل ، يظل هذا الفناء الموجود في القصور الجنوبية مفتوحًا ، مما يسمح للأطفال بالدخول ويخرج بحرية ويسمح للهواء بالدوران وتبريد المنزل بأكمله. ص 25

تمييز المسكن المتنقل، الخيمة، عن المسكن الثابت ، وهو القربي ، والبيت ذو التراس ، والبيت بسقف من القرميد. الخيمة هي مسكن البدو ووجودها يكاد يكون طبيعياً في الصحراء وفي السهوب حيث الحياة المستقرة والزراعة ممكنة فقط حول نقاط المياه. [4]

الجوربي هو مسكن الفلاح الجزائري المستقر. هناك عدة أنواع من "الأكواخ" وفقًا للمواد المستخدمة وطريقة تجميعها. يعتبر الغوربي أيضًا موطنًا لشبه البدو أو شبه المستقرين وغالبًا ما يتأرجح سكانه بين غوربي والخيمة. وهذا ما يفسر طابعه كمأوى مؤقت وأساسي، وعدم

[1] Nadajt. 17
[2] Nadajt. 20
[3] Nadajt. 20
[4] Nadajt. 21-22

ارتباط سكانه به ، بمعنى أنهم يستطيعون تركه دون صعوبة. إن طابعها كمأوى مؤقت وملجأ جعله مرادفًا للفقر.[1]

المنزل الذي به شرفة أو قرميد هو منزل البستاني أو مزارع أشجار الفاكهة التي تلزم بساتينه باستقرارها بشكل دائم وأن يكون له مخزن. ص 23

المنازل تحتل كل شمال أفريقيا. على عكس تشتت الخيام والأكواخ ، تتكتل المنازل في قرى كبيرة وأحيانًا في مدن صغيرة حقيقية مثل مازونة والقلعة والبرج وندرومة ، إلخ. إنها تشكل انتقالًا إلى التكتل الحضري الذي يصعب تمييزها عنه في بعض الحالات. وفي الجبال الصخرية (Aurès، Djurdjura، Atlas de Blida، Dahra، Ouarsenis، Massif of Tlemcen and Trara) نجد المنازل لأنها أكثر راحة وأكثر قدرة على الحماية من البرد والحرارة. الثلج.

الخصائص المهيمنة للبيت الجزائري "التقليدي" (كما درسها الفرنسيون) تفضل أفقية السكن الذي يلبي احتياجات الجزائريين بشكل أفضل من العمودي

الحقيقة الاستعمارية المتمثلة في الحفاظ على التراث كمتحف متجمد في حالة خراب. [2]

المبحث الثاني: النسيج الاجتماعي والحضري أثناء الاحتلال الفرنسي

المطلب الأول: المشروع الاستعماري في الجزائر وتصادم نسيجين اجتماعيين وحضريين

قدر عدد سكان الجزائر عام 1830 بحوالي 3 ملايين نسمة تزيد أو تنقص قليلا، وهو رقم لن يعرفه الجزائريون مجددا حتى عام 1882. العقود الأولى من عمر الغزو الفرنسي، لاسيما من 1830 إلى 1848، ولاحقًا أثناء مقاومة المقراني عام 1871، علاوة على سنوات المجاعات (1868-1870) والأوبئة (الكوليرا عام 1867)، سببت خسائر بشرية فادحة وضربت وتيرة النمو الديموغرافي. ثم منذ عام 1876، عادت وتيرة نمو الجزائريين إلى التسارع لتبلغ نحو 1.8 ٪ سنويًا –باستثناء زمن الحرب العالمية الأولى والمجاعة التي تلتها عام 1920. واعتبارًا من عام 1950، عاد معدل النمو السنوي إلى الارتفاع.[3] يقول إيف لاكوست:

"العربي [...] يصبح بالتدرج غريباً في البلاد التي عمرها أسلافه، وفي كثير من المناطق يذبل ويموت، ويفسح السبيل لجنس آخر. واحدة من أكثر المشاكل الديموغرافية حساسية هي الكشف عن الظروف الجغرافية والاجتماعية التي قاوم في خضمها العرب بانتصار التأثيرات المعاكسة [...] إنهم ينجون في الهضاب العالية التي تلقى السقاية الكافية [...]

---

[1] عدي هواري، **الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي 1830-1960**، ترجمة جوزيف عبد الله، بيروت: دار الحداثة، ط1، 1983.ص 23.

[2] Sciences & Technologie D - N°37, Juin (2013). pp.39-50 Université Constantine 1, Algérie, Juin 2013 L'IMPACT DE L'URBANISME COLONIAL SUR LA FABRIQUE DE LA VILLE ALGERIENNE CHAOUCHE Salah. 40-41

[3] Amin, op.cit., PP. 21-22.

بينما في ضواحي المدن [...]يقضى عليهم تدريجيا: هناك، لم يغدوا سوى عرق في حالة تقهقر" .[1]

تتناحر النخب وتفرض الفرقة التي يغلب أصحابها أجندتها ورؤيتها في باريس. هناك من النخب الفرنسية من آمنت بالسيطرة عبر العمليات الاقتصادية. تصورت البرجوازية الزراعية الجزائر مستعمرة ريفية، وصاحت بشعار: **"بالسيف والمحراث".***[2]وتصورتها البرجوازية الصناعية موقعا للتصنيع. هناك من تصورها مستعمرة عسكرية كالجنرال "بوغو"* الذي دعا إلى الاعتماد على **"الجندي المعمر"**، وقد وضعت الجزائر بالفعل تحت الحكم العسكري إلى غاية 1870. في النهاية اتجهت مستعمرة الجزائر رويدا رويدا إلى الاستيطان الحضري.[3]

اعتمدت إدارة الاحتلال في السنوات الأولى على المدن الموجودة، قبل أن تشيد مدن من العدم: ***"فتهيمن المدينة الأوربية على المدينة الأصلية وتلتصق بها وتطوقها وتستقطب أنشطتها الرئيسية ثم تبتلعها"[4]***، وغلب على التعمير الصبغة العسكرية، اضطرت إليه لتنظم قواتها العسكرية استعدادا لقمع أية مقاومة شعبية. ووسعت المدن فيما بعد على النمط الغربي. وجعل الجزائريون ينسحبون إلى الأراضي الجبلية الوعرة والأقل خصوبة نتيجة توطين الأوربيين على أراضي القبائل والعروش في السهول الساحلية الخصبة والأحواض الداخلية، وتجريد الجزائريين من أراضيهم، ونتيجة الابادة التي لحقتهم.[5]

أقام الاحتلال الفرنسي الاستثمارات في المدن الساحلية والسهول القريبة منها حيث أقام المستوطنون، وأهمل الريف مأوى غالبية الجزائريين، الذين يمموا لاحقا صوب المدن وحلوا في مساكن من صفيح عند حوافها، وعملوا في ورشات البناء والموانئ ونحوها طلبا للرزق. وتبدت أمارات أحياء القصدير التي ستغشى المدينة الجزائرية لاحقا في هذه المرحلة (هناك من يرجع البوادر الأولى لمساكن الصفيح إلى الثلاثينات والأزمة الزراعية، لاسيما سنة 1936 العجيفة. ثم حرب الاستقلال التي قاسى فيها قاطنة الأرياف أصناف الاضطهاد).تدهور أوضاع الجزائريين مرحلة الحربين العالميتين والأزمات الاقتصادية العالمية، رَفَعَ نسبة النزوح الريفي-الحضري المزدوج نحو المدينة ونحو الخارج. [6]

---

[1]Lacoste, op.cit., P.362.

[*] ***« Par l'épée et la charrue»***

[2]Amin, op.cit., P.26.

[*]bugeaud

[3]عدي هواري، مرجع سابق،ص 63.

[4]فتيحة شمام، مرجع سابق، ص48.

[5]المرجع نفسه.

[6]المرجع نفسه.

خصصت الإدارة الاستعمارية فضاءات هامشية لإسكان الجزائريين الذين كانوا في المدن، من الذين لم يغادروها ومن المهاجرين إليها من الأرياف. وهدفت المخططات العمرانية التي كانت ترسمها الإدارة الفرنسية لعزل الجزائريين، وإخفاءهم عن لواحظ الأوروبيين، بإبعادهم ما أمكن عن الأحياء الأوربية.

قام العمران والبناء في تلك المرحلة انسجاما مع الوظائف التي فرضتها المتطلبات الاستعمارية: يجب أن تكون المدينة الاستعمارية في تواصل مع المركز الاستعماري وخادمة له. أنجز الاحتلال الفرنسي شبكة سكك حديدية على طول أهم المدن السهلية، وبنى قرى على النمط الفرنسي على امتداد هذه الشبكة لتوطين الأوربيين وتمكينهم من استغلال الأراضي الزراعية الخصبة المسلوبة من الأهالي، كما أنشأت الإدارية الاستعمارية الموانئ لنقل الخيرات الجزائرية إلى فرنسا، ولجلب المزيد من القوات العسكرية.[1]

صاغ الاستعمار الفرنسي مدن الجزائر عموما بطريقتين: إما أن يوسع المدن الأصيلة بعد التدمير الجزئي أو الكلي لفضائها المبني، وإما أن ينشئ مراكز حضرية جديدة، مدن "من العدم"*: مدن وقرى استعمارية، بعضها مواقع عسكرية شيدت في نقاط استراتيجية، مثل سطيف وباتنة، وبعضها مراكز حضرية مثل سكيكدة وبرج بوعريريج والبويرة وسوق أهراس. هكذا يعيد الأوروبيون اكتشاف عناصر الحياة الاجتماعية التي اعتادوا عليها، لاسيما عند بناء المتحف أو المسرح أو المحكمة على الطرز المعماري الأوروبي فيمركز المدينة.[2]

في عام 1830، واجه الجنود الفرنسيون أول صعوبة في اعتقال الفضاء وتملكه في مدينة الجزائر. بالنسبة للفرنسيين، فإن مدينة الجزائر متاهة تسعى إلى إرباك الأجنبي.[3] ***" كان من الضروري أن نشق طريقنا بسرعة عبر هذه المتاهة من الشوارع الصغيرة والمباني المجاورة لبعضها البعض"*** .[4]

هيكل المدينة والشوارع الضيقة والمنازل اللصيقة ببعضها، عسرت على العساكر التنقل والتحرك. مولت وزارة الحرب أعمال البناء وشق الطرق الأولى، وفي هذا دلالة على أن الفضاء هو أولا موضوع للسيطرة تشكله على صورتها بعد أن تهيمن عليه. أقيمت في الفضاء المحتل أماكن تمظهر للقوة الجديدة.

[1] جامعة سعد دحلب بالبليدة كلية الحقوق قسم القانون الخاص مذكرة ماجستير التخصص : القانون العقاري قانون المدينة في التشريع الجزائري فتيحة شمام، البليدة ، ماي 2012. 39

*Ex-nihilo.

[2] Chaouche, op.cit, P.41.

[3] Jean-Jacques, op.cit., P.31.

[4] Cours intégral de la matière 3 de l'UED 8 Master architecture semestre 08. Rédigée par Najet Mouaziz-Bouchentouf Octobre 2017. Cours : Histoire et politique de l'habitat en Algérie. 27-28

تأكد الشوارع على الصفة العسكرية للحكم (1830-1870)، وهي أول ما أملى التخطيط الأوروبي للمدينة، على أساس مبدأ سهولة الوصول. دعيت مدينة الجزائر إذ ذاك لأن تصبح مدينة وحصنا.[1]

في أوت 1832 تمكنت العربات ذوات العجلتين والأربع عجلات الوصول إلى الميناء عبر بوابات باب الواد وباب عزون. وأنشأت ساحة تسمح للقوات بالمناورة بعد هدم الحوانيت والمنازل.طالب الجيش الفرنسي بإلحاح منذ عام 1836 بخطة مواءمة للمدينة. وفي عام 1855 وضعت موضع التنفيذ. جرت أعمال البناء الأولى على مقربة من الميناء. هدفت هذه الخطة إلى توحيد المدينة القديمة والمدينة الأوروبية بواجهة مرئية من البحر. وهكذا إن قدمت مُسْتَقْبِلًا مدينة الجزائر سالكا طريق البحر، بصرت مدينة أوروبية. قَضْم الشق السفلي من المدينة الأصلية أثناء هذه العمليات أجبر سكانها على التراكم فيما تبقى من المدينة العليا.[2]

شيد فضاء انتقالي، يفصل بين المدينة الأصيلة (القصبة)وبين المدينة الجديدة، بين الأحياء الأوروبية وأحياء الجزائريين. الفضاء الوسيط، فضاء رمزي للاستعمار الذي ينتهي إلى باريس، مساحة سميت ساحة الحكومة.[3]

يحدد الاستعمار فضاءه وحدود مساحة الآخر. أفق ميدان الحكومة يترنح بين مستويات شتى ويجمع بعض السمات التعبيرية لهذه الازدواجية. **هناك البحر الذي أصبح نطاقًا لأوروبا، في المقابل توجد المدينة العربية على مرتفع.** [4] ولكن متاخمة المدينتين لا تعني اختراق أي منهما الأخرى. تعبر مورفولوجية المدينتين عن ازدواجية، عن مجتمعين يعيشان بالتوازي، عن ثقافتين متجاورتين فضائيا متعارضتين في نطاق البنى الفوقية: للمساحة المغلقة مقابل الفضاء المفتوح، الخط المنحني مقابل الخط المستقيم. تأكيد شديد على الثنائية.

تَدَفُقُ الأوروبيين المدنيين إلى المدينة قدر بـ 602 أوروبيًا عام 1830، 21.000 عام 1840، و30.000 عام 1850.[5]المستعمرون من الجنود والمدنيين الذي خبروا فضاءات القصبة، عانوا من الارتباك، **"كيف يجد المرء نفسه في هذه المتاهة المظلمة حيث الطبوغرافيا شفهية؟".**بالعودة إلى كفن لانش وصورة المدينة، فقد كانت قصبة الجزائر-والمدن الأصيلة الجزائرية عموما-فضاء يلغوا بلغة لا يفهمها الأوروبي. لقد كانت المدينة الجزائرية غير مقروءة وغير واضحة، تثير الحيرة والارتباك ولا يتبين فيها الأوروبي طريقه. ان هذا الأمر يفصح عن الاختلاف الشديد في رؤية العالم التي تدور في مخيال وذهن كل فرقة وثقافتهما، ولذا سيلجأ الأوروبي المرتبك صاحب اليد العليا في هذه المعادلة الاستعمارية إلى تحوير الفضاء وعجنه على الصورة التي يمليها مخياله وثقافته، وبذا يألف هو المدينة بينما يتغرب الجزائري فيها. وقد باشر ذلك بإعادة تسمية الشوارع القديمة وترقيم الأبواب للاهتداء في

[1]Jean-Jacques, op.cit., P.31.
[2]Ibid.
[3]Ibid., P.30.
[4]Ibid.
[5]Ibid.

المكان الذي بعث في نفسه الشعور بالتوهان، وفي ذلك إنكار للهوية السابقة للشوارع وللفضاء عموما. في النهاية، كانت المواجهة بين المدينتين والثقافتين عنيفة:

"نظامان للقيم. قام أحدهما على ضرب جذروه في الأرض وعلى تضامن المجموعة، والآخر على القوة الاقتصادية، والانفتاح على العالم، والإيمان بالتقدم. كانت المواجهة بين هذين النظامين وحشية وعنيفة. أسس المجتمع الاستعماري اقتصادًا جديدًا على الأراضي الجزائرية وخلق فضاءً جديدًا." [1]

مجتمع تقليدي ذو تقنيات زراعية بسيطة، وروابط أسرية محكمة وهياكل اجتماعية متماسكة، وفضاء مادي مبني يعزز النظام القيمي. مقابل النموذج الاقتصادي الرأسمالي والتقنية المتقدمة والقيم الغربية...الخ. طور المستعمر التقنيات الزراعية، وخلق علاقات اقتصادية مستحدثة، وجلب سكانا جددا.

أربعون عاما من الغزو (1830-1870) عصفت بالنسيج الحضري للعديد من المدن الأصيلة الأخرى. قاست تيارت ومعسكر وهران والمدية وتلمسان وملیانة وقسنطينةوجيجل وغيرها عمليات هدم[2] رمت أول الأمر إلى توسيع الطرق، إذ أن خصيصة ضيق المسالك والطرق التي تسم المدن الجزائرية الأصيلة-وقد أتينا على ذلك-لا تعين الجيش الفرنسي على التحرك والتقدم إلا بمشقة.

الحيازة الجغرافية والملكية الخاصة وتشظي النسيج الاجتماعي:

الحيازة الجغرافية، بتعبير ادوارد سعيد، عنصر حاسم في نجاح المشروع الاستعماري. استعملت الإدارة الاستعمارية الفرنسية القوة المادية أولا، ثم قوة القانون. لقد عقل المستعمر أن هذا المجتمع المتماسك لن ينجح تشتيته إلا عبر التحكم في الفضاء.

فرض **مرسوم 21 جويلية 1846** المتعلق بالنظام العقاري، على الجزائريين اظهار سندات ملكية فيها اثبات تملكهم أراضيهم، وقد علمنا أن الأراضي كانت مشاعة غالبا. ما يعني انشاء سوق للأراضي. ثم صدر **قانون 16 جوان 1851**، وعلق تطبيق المرسومين السابقين الذين يكمن عيبهما في "الاعتراف بحق القبائل في امتلاك واستعمال الأرض"، وعوضا عن ذلك أقر بحق القبائل بالانتفاع بالأرض بينما تحوز الدولة حق ملكية جميع أراضي العرش. وعدت الضريبة على الأرض بدل ايجار. وفي هذا القوانين تمهيد لانتزاع ملكية الأراضي قسرا.[3]

تناقصت الأراضي التي كانت مخصصة للرعي. وهدد هذا النظام بقاء الجزائريين الذين اعتادوا التنقل الى الصحراء شتاء والى السهول في الربيع والصيف.[4]

جاء **قرار مجلس الأعيان عام 1863**، وألغى قانون 1851، وقام بتحديد أراضي القبائل، وبتوزيع القبائل على تجمعات مصطنعة، تسمى الدوار، وإلى تقسيم الأراضي إلى ملكيات

[1] Chaouche, op.cit., P.40.
[2] Mouaziz, op.cit, P.26.
[3] عدي هواري،مرجع سابق،ص 62.
[4] المرجع نفسه، ص63.

فردية عملت على تفكيك القبيلة وفصل الجماعة، وسهل عمليات بيع وشراء العقار: **"يجب فهم الدوار ككيان مجرد وتعسفي، كجمع لكميات من الأفراد المنتزعين من قبائلهم، واحتياطي لا ينضب لليد العاملة زهيدة الأجر".**[1]

شكل الدوار من خليط قبائل غير متجانسة. كان الهدف غير المفصح عنه تفتيت القبائل واضعاف نفوذ الزعماء، وخلق الشروط الملائمة لتوسع المستعمرين. وبعد أن خلقت الملكية الفردية، وانفصل الفرد عن القبيلة، أعيد تجميع الأفراد المتحررين من الروابط الاجتماعية في إطار فضائي واداري هو الدوار. [2] في النهاية أدت الملكية الفردية إلى تطويق حركة البدو، مما اضطر الكثير منهم إلى التحول إلى حياة الحضر.إن تجريد المجتمع الجزائري من أرضه سيكون له وزنه في التطور الذي أعقب استقلال البلاد. [3]

لاحقا، في سبيل القضاء الثورة، جمع سكان الأرياف في محتشدات، محاطة بالأسلاك الشائكة (حوالي 5.3مليون نسمة من سكان الأرياف مستهم هذه العملية) وقد تحولت هذه المحتشدات إلى قرى صغيرة توسعت بعد الاستقلال[4].

المطلب الثالث: العمارة والتخطيط الحضري الاستعماري في فضاء المدينة الجزائرية

لما كانت السلطة السياسية تصيغ الفضاء على صورتها، وبما يتفق مع مصالحها، ولما كانت المدن مشاريع سياسية كبرى تأوي مشاريع سياسية أخرى، فانه من الصواب أن نبحث في الطرز المعمارية والتخطيط الحضري الذي أنتجته الإدارة الاستعمارية في مستعمرة الجزائر، وأن نقرأ مقاصدها من خلال النسيج الحضري.

يعيش السكان المسلمون ظروفا مادية مختلفة عن تلك التي يعيشها الأوروبيون، وهاتان الجماعتان ليستا متجانستين. يعيش السكان المسلمون في المدن العتيقة والقصبات والقرى الأصلية. بمجرد تشبع النوى الحضرية الأصلية، تستقر القاطنة في أحياء فقيرة مبنية في ضواحي المدن، مشيدة منازلها دون اللجوء إلى معماري، ونجد صورتها مزيجا من البيت التقليدي والبيت الأوروبي.[5]

ما بين عام 1830 إلى عام 1930، وجدت طرز معمارية أهمها النيوكلاسيكية (غربي الهوى)، والطرز النيوموريسكي ("شرقي" النزعة).

نجد الطرز النيوكلاسيكي في الشوارع الرئيسي وهي مبنية للأوروبي حصرا. وهو يعكس المرحلة العسكرية للاستعمار. وقد كان لمدة سبعين عامًا، الطرز المعماري الرسمي للسلطة الاستعمارية الفرنسية. سعى إلى تحقيق مبادئ استطيقية وإلى ضمان التصحح، والفصل بين

[1] المرجع نفسه، ص73.
[2] المرجع نفسه،ص 69.
[3] Saidouni, op.cit., P.174.
[4] فتيحة شمام، مرجع سابق، ص. 40.
[5] Mouaziz, op.cit., P.29.

الجزائريين والأوروبيين. في المبادئ النيوكلاسيكية ازدراء بكل انتاج للفضاء صابئ عن التقاليد اليونانية-الرومانية العالية.[1]

*المسرح، وهران.

[1]Chaouche, op.cit., P.41.

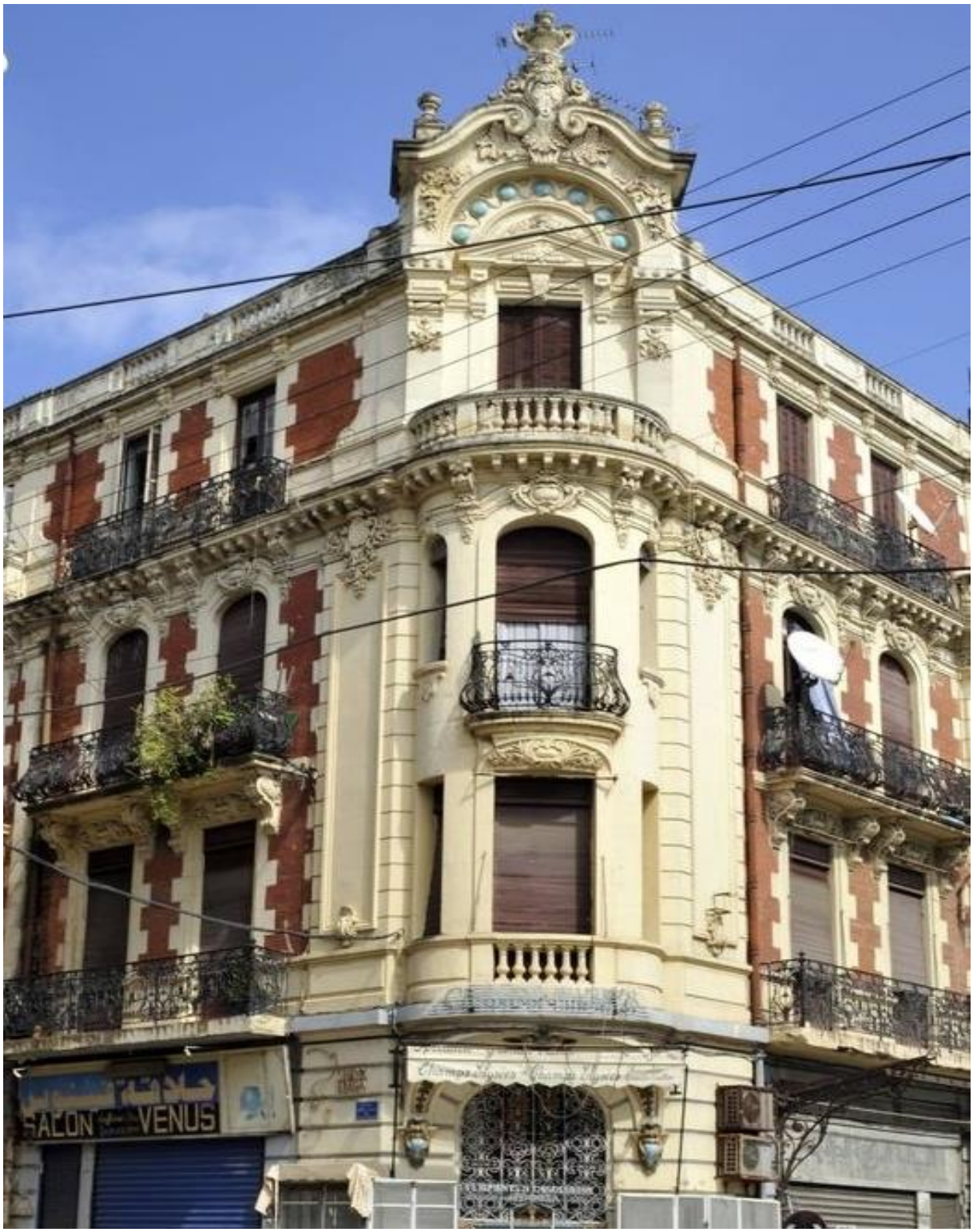

*واجهة مبنى ذو طرز معماري نيوموريسكي، عنابة.

نابليون الثالث الذي سيزور الجزائر العاصمة عام 1860 سيوقف التدمير الكامل للقصبة. تشكل شارع الامبراطورة يوجيني (الواجهة البحرية) في هذه الفترة، وفيه شبه عظيم بمرسيليا

ومينائها. وقد نظمت المدينة الفرنسية فيما بعد، حول هذا الشارع. في هذه الزيارة افتتح نابليون أول خط للسكك الحديدية بين الجزائر العاصمة والبليدة.[1]

أما الطرز النيوموريسكي،أو طرز "جونار"* فكانت الفكرة وراءه تحوير صورة فرنسا في أذهان الجزائريين، من غاز إلى "فاتح". وشكل الفضاء ليخدم هذا المسعى. أريد بصورية الفضاء الحضري أن تثير مشاعر الألفة. يجب أن ينتج الفضاء على صورة تعود عليها الجزائريون، بعدما أحاط بهم فضاء أجنبي (مبادئ التخطيط الغربي والطرز النيوكلاسيكي). سلك هذا المسعى مسلك الدين والثقافة، لذا نجد في المباني النيوموريسكية إشارة إلى مساجد المغرب العربي والأندلس. مع مزجها بالتعبير الأوروبي. انه تزاوج بين الشرق والغرب مقاربة "ذات نزعة إنسانية"، ومحاولة لاعادة تأويل التراث المعماري التقليدي. نشر تشارلز جونار مراسيم تجعل من الطرز النيوموريسكي طرزا للدولة.[2]***"يترافق ابتكار طراز موريسكي جديد مع إعادة تفسير واختيار واستعارة السمات الجمالية والمعمارية التي تصبح نواقل للهوية المتناقضة"***.[3]*

[1]Jean-Jacques, op.cit., P.32.

*"le style Jonnart"، تشارلز جونار كان الحاكم العام للجزائر لثلاث عهد (1901-1900، 1911-1903، 1919-1918).

[2]Mouaziz, op.cit., PP. 27-28.

[3]Sciences & Technologie D – N°49, Juin 2019 .9-20. LECTURE INTERPRETATIVE DU LANGAGE ARCHITECTURAL DES FAÇADES NEO MAURESQUE EN ALGERIE À travers quelques exemples d'édifices publics CHALABI Amina, LAZRI Youssef. 10

*لتحليل مفصل للغة المعمارية للنمط النيوموريسكي، أنظر. Sciences & Technologie D – N°49, Juin 2019 .9-20. LECTURE INTERPRETATIVE DU LANGAGE ARCHITECTURAL DES FAÇADES NEO MAURESQUE EN ALGERIE À travers quelques exemples d'édifices publics CHALABI Amina, LAZRI Youssef.

*البريد المركزي، الفترة الاستعمارية. الجزائر العاصمة.

*مدرسة قسنطينة.

أوائل ثلاثينيات القرن العشرين، تراجع الاهتمام بالأسلوب النيوكلاسيكي والاتجاه النيوموريسكي لصالح المباني التي تتبنى خطاب حديثاً. انشأت لجنة الجزائر القديمة عام 1900، وجمعت المفكرين والأعيان، من الفرنسيين المولودين في الجزائر، وحددت لنفسها مهمة الحفاظ على "المدينة التركية". تشكلت النخبة في مدينة الجزائر (وفي معظم المدن الجزائرية) وطالبت بهوية خاصة بها. وجد هذا الجيل من المثقفين والمهندسين المعماريين في الثلاثينيات في العمارة الحديثة تعبيراً عن هذه الهوية.[1]

مع الجمهورية الثالثة، أخذ الاستعمار منعطفًا آخر. كان الأمر يتعلق بانتصار المدني على العسكري وأنه بعد تسميتها وإعلانها "فرنسية"، كان على الجزائر أن تكتسب حلة الأراضي الفرنسية، وأن تكون امتدادً لها. أضحت مدينة الجزائر مدينة فرنسية في وقت الذكرى المئوية (1930): كان قد تم تشييد المسرح، والمدارس العادية والمدارس العليا، والجامعة، وأقيم معهد باستير، ومتحف للفنون الجميلة ومكتبة وطنية ونحوها، للتأكيد من خلال الفضاء المادي على القدرة المطلقة لفرنسا، وانتهاء النزاع بين الجيش والسلطة المدنية. وللتأكيد على ذلك أقيم للحكومة مقر عام 1934 كنقطة التقاء جميع اللواحظ، كنقطة مركزية، تؤدي جميع المسالك إليها، بما في ذلك شوارع القصبة.[2]

ومنذ ثلاثينيات هذا القرن، رغب الأوروبيون بمدينة عصرية، واستجاب "الجيل الثالث" من المعماريين في الجزائر للارتفاع الديموغرافي بمعونة من التقدم التقني. هذا الجيل من المعماريين الأوروبيين، الذين ولدوا غالبًا في الجزائر وتأثروا بالوظيفية وبلوكوربوزييه، عبروا صراحة عن رغبتهم في بناء هوية معمارية خاصة ببلدهم، تجمع بين التقاليد والحداثة.[3]

أعجب لوكوربوزييه، صاحب المدينة المشرقة، بقصبة الجزائر أيما إعجاب بعد أن زارها سنة 1931: ***"قصبة الجزائر هي كيان معماري وعمراني مثير للإعجاب، إنها المدينة الأكثر انسجاما وعملية التي يمكن للمرء أن يحلم بها؛ كما أنها المدينة الأكثر شعرية لمن يعرفون كيف ينظرون إليها".***[4]

مع ظهور العمارة الحديثة، اتخذت المجمعات السكنية الاجتماعية*HLMفي فرنسا (وقد ظهرت سياسة الإسكان الاجتماعي في فرنسا نحو 1920 عشية الحرب العالمية الأولى). وعقد عام 1933، مؤتمر العمارة والتخطيط العمراني في الجزائر العاصمة، وشارك فيه لو كوربوزييه، الذي أثرت تصاميمه وميثاق فيينا على المساكن الاجتماعية. شيدت أول المجمعات بالجزائر العاصمة في الحراش 1952، وفي "le Champ de Manœuvre" 1954.[5]

[1]Mouaziz, op.cit., P. 38.
[2]Jean-Jacques, op.cit., P.32.
[3]Chaouche, op.cit., P.46.
[4]Ibid.
*Habitation à Loyer Modéré.
[5]Ibid.

* الصورة (1): مجمع سكاني من تصميم "برنارد زيرفوس" "Bernard Zehrfuss"، الجزائر العاصمة 1952.

المصدر: [du patrimoine - Bernard Zehrfuss. La poétique de &architecture'Cité de l la structure (citedelarchitecture.fr)]

نحن نشهد إفقارًا واضحًا للأطروحات التي دافع عنها لو كوربوزييه. تبدو الكتل المتوازية والمتوازية بينهما كرسوم كاريكاتورية للعمارة الحديثة، خاصة مع تلك المبنية في منطقة باريس. يصبح أسلوب الحركة الحديثة أداة للمضاربة.[1]

جاك شوفاليليه انتخب واليا على مدينة الجزائر عام 1953، أطلق مشاريع إسكان شملت المسلمين. استدعى شوفالييه المعماري " PouillonFernand" الذي آمن بقدرته على تخطيط وحدات سكنية حسنة بسرعة وبكلفة أقل من المشاريع السابقة. وهكذا خرجت أعماله الى النور: "ديار السعادة" (1953) 370 مسكن، و"ديار المحصول" (1954)1500 مسكن، و" climat de france" (1956) (واد قريش حاليا)، 5000 مسكن.[2]

*الصورة (2): ديار المحصول.

المصدر: Diar el Mahcoul,quelques photos sur http://alger-roi.fr

خلال خمسينيات القرن الماضي، شاعت العمارة الحديثة شيئًا جديدًا في الجزائر والمساكن الجماعيةHLMs ، أو المرافق العامة اعتمدت هذه المفردات. في الجزائر العاصمة ، يمكن قراءة تأثيرات لو كوربوزييه في إنجازين على وجه الخصوص: "Aérohabitat"(1955)، و"L'immeuble-Pont Burdeau"(1952).

[1]Mouaziz, op.cit., P. 41.
[2]Mouaziz, op.cit., P. 42.

بالنسبة إلى مشكلة السكنات العشوائية، فقد كانت الخطة هدمها وإعادة إسكان سكانها، المشكلة هنا تقع في التمويل. بعد بضع تجارب، انتهت الإدارة الفرنسية إلى بناء اقامات لإسكانهم مؤقتا، ثم هدم أحياء الصفيح وبناء مبان لائقة على تلك الأراضي، وأخيرا إسكان الأسر. أدى هذا إلى ولادة ما يسمى بـ"أحياء انتقالية".[1]

قامت حرب التحرير سنة 1954، وبعد أربع سنوات من اندلاعها قدم الجنرال ديغول إلى الجزائر. وأعلن أنه من الآن فصاعدا لا يوجد سوى مواطنون فرنسيون كاملون. اعتبر ديغول أن أصل المشكلة الجزائرية هو البطالة، وفي أكتوبر 1958 أطلق "مشروع قسنطينة" للتصنيع (إنشاء مركز للصلب في عنابة ومصنع رينو في الجزائر العاصمة لخلق 400 ألف منصب شغل) ومواءمة الرواتب مع الرواتب الفرنسية.[2]وتوزيع 200 ألف مسكن يستوعب مليون شخص، لتحسين ظروف المعيشة في القرى والأحياء القصدير، وتوزيع 250 ألف هكتار من الأراضي الزراعية، وشرع في تطبيق "قانون العمران العام الجديد" الذي جاء بـمخطط **العمران العام، و مخطط العمران التفصيلي، والبرنامج العمراني.**[3]

هدف هذا المشروع ظاهريا إلى تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية تصل بالجزائر إلى المستوى الأوروبي، على الرغم من التحدي الديموغرافي. في الحقيقة كان مشروع قسنطينة سعيا لإيقاف الثورة واسكات الجزائريين، واختزال مطالبهم في الحيز الاقتصادي والاجتماعي، وقد استلهم من مشاريع التخطيط التي وضعت في فرنسا لإعادة الاعمار بعد الحرب العالمية الثانية.[4]

فيما يخص تخطيط المدن والمعمار، يعلن مخطط قسنطينة عن انقطاع مع معظم الإنجازات السابقة. إنها مرحلة من الإدارة تنظر إلى المدينة والعمارة من وجهة نظر معايير كمية أكثر منها نوعية. مع الرغبة في توزيع الوظائف فضائيا في جميع أنحاء الإقليم: المناطق الصناعية، ومدن موظفي الخدمة المدنية، والمدن الإدارية، والأحياء شبه الحضرية. وراء هذا المنطق الكمي إخفاء للرغبة في تبسيط المشاكل والتلاعب بالسكان والبيئة المبنية من أجل التمكن من تطبيق الأرقام والشبكات المعيارية. باسم الكفاءة والاقتصاد والسرعة غلبت الصفية الكمية النوعية. عموما، تعد جميع العمليات التي تم تنفيذها بين عامي 1958 و1962 من مخطط قسنطينة.[5]

المبحث الثالث: المدينة الجزائرية وسياستها بعد الاستقلال

يمكن وصف حال المدينة الجزائرية بعد الاستقلال بالمعقدة على أقل تقدير: لا توازن الشبكة الحضرية وتمركز السكان في الشمال، أزمة السكن وأحياء القصدير، والزحف العمراني الى

[1]Mouaziz, op.cit., P.49.

[2]Lacoste, op.cit., P.205.

[3] فتيحة شمام، مرجع سابق،ص 40-41.

[4]Mouaziz, op.cit., P. 52.
[5]Ibid., P.53.

أطراف المدينة والضواحي الحضرية، بعد نفاد احتياطات البلديات الحضرية العقارية. ولما كانت الجزائر، كما دول العالم تتجه نحو التحضر وتفضيل المدن، ولما كان غالب سكان الجزائر يتوجهون إلى المدن ليعيشوا فيها، فان معالجة حال المدنتمسي أولوية، وهنا يجيء دور سياسة المدينة.

قبل أن ننصرف إلى هذا المبحث، يجب أن نبدأ أولا بتحديد تعريف المدينة الذي تعتمده الجزائر، ذكر في المادة الثالثة من القانون رقم 06-06 المتضمن القانون التوجيهي للمدينة: ***"كل تجمع حضري ذو حجم سكاني يتوفر على وظائف إدارية واقتصادية واجتماعية وثقافية"***. [1]

وهو تعريف فضفاض يصدق على أنواع الفضاءات الحضرية التي عددها التشريع الجزائري في القانون رقم 02-01 المتضمن قانون تهيئة الإقليم وتنميته المستدامة: الحاضرة الكبرى، المساحة الحضرية، المدينة الكبيرة، المدينة الجديدة، المنطقة الحساسة.[2] ويضيف إليها المدينة المتوسطة، المدينة الصغيرة، التجمع الحضري، والحي.[3]

جاء هذا التعريف وهذه التصنيفات في القانون المتعلق بتهيئة الإقليم وتنميته المستدامة، وفي قانون المدينة، اللذين نشرا سنة 2001، و2006 على التوالي. أي بعد أربعة عقود من الاستقلال. يثير هذا "التأخر" العديد من التساؤلات، لماذا تأخرت هذه الأطر القانونية؟ وما السياق الذي مهد لها؟

المطلب الأول: الديموغرافيا وحركة السكان:

عشية الاستقلال غادر المستوطنون الأوربيون الجزائر، واتجه عدد هائل من الجزائريين نحو المدن.بين عامي 1962 و1964، حدثت أكبر حركة سكانية عرفتها الجزائر في تاريخها الحديث: عوض 600.000 من الأوروبيين بنحو 800.000 جزائري جاء معظمهم من الريف، ولا سيما من المحتشدات، ومن مخيمات اللاجئين في تونس والمغرب.[4]قدر عدد المساكن المهجورة بنحو 300 ألف وحدة سكنية في المدن الكبرى:98 ألف منها في الجزائر العاصمة. سجلت نسبة تحضر نحو 40.31 %سنة 1966[5].

كان عدد المدن في المنطقة التلية 62 مدينة سنة 1966، مقابل 34 مدينة في الهضاب العليا و18 مدينة في الجنوب في نفس السنة. سنة 1977 ارتفع عددها في المنطقة التلية إلى 142 مدينة، مما عنى أن المنطقة غطت 70 %من البنية الحضرية الوطنية.[6]

[1]الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 15. 12 مارس 2006. ص 18.
[2]الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 77، 15 ديسمبر 2001. ص 19.
[3]الجريدة الرسمية، العدد 15. ص 18.

[4]Amin, op.cit., P.26.

[5]فتيحة شمام، مرجع سابق، ص 48.

[6]المرجع نفسه،صص59-60.

السنة	1960	1970	1980	1990	2000	2010	2020
معدل نمو سكان الحضر	%06	%3,20	%5,10	%4,10	%2,70	%2,90	%2,60

*الجدول (1): معدل نمو سكان الحضر في الجزائر (1960-2020)

المصدر: النمو السكاني في المناطق الحضرية (% سنوياً) - Algeria | Data (albankaldawli.org)

للبنية الإدارية المتعاقبة منذ 1965 أيضا دور في نمو التجمعات الحضرية وزيادة عدد سكانها، لأن إضافة مراكز إدارية جديدة لولايات ودوائر وبلديات معناه الاستفادة من مرافق وخدمات إدارية واقتصادية واجتماعية جديدة. بالإضافة إلى الاعتمادات المالية التي تخصص لميزانياتها في مجال التسيير والتجهيز والاستثمار في مجال التهيئة الاقتصادية والعمرانية.مايجعل من المراكز الإدارية نقاط جذب شجعت على الهجرة من التجمعات السكانية المحيطة ولو بالإقامة في أحياء الصفيح.[1]

هدفالتقسيم الإداري إلى تقريب الإدارة من المواطن وتحقيق التوازن الجهوي، والتخفيف من حركات الهجرة بين المناطق. حيث ارتفع عدد الولايات في التقسيم الإداري لسنة 1974 إلى 31 ولاية بعدما كان 15 ولاية سنة 1965، وفي تقسيم إداري سنة 1985 بلغ عدد الولايات 48 ولاية.[2]

أثرت العوامل الأمنية كذلك على النمو الديموغرافي، حيث أن البلاد دخلت نهاية عقد الثمانينات وبداية عقد التسعينات من القرن الماضي "فوضى أمنية" أفرغت الريف من قاطنيه، لأن أعداد كبيرة من سكان الأرياف توافدت نحو المدن الأكثر أمنا، مقيمة منازل فوضوية قصديرية مخالفة القانون المنظم للعمران.

فيما يخص الاقتصاد فان خيار الصناعات المصنعة وايلاء الأولوية للصناعة على حساب القطاعات الأخرى، يجوز تفسيره بوجود الإرادة السياسية لوضع الأسس المادية للانطلاق الاقتصادي، ولأنه صورة المجتمع الحديث. يرتكز هذا النموذج على التخطيط المركزي، وقد استلهم من النموذج السوفياتي. يعتمد على أولوية ثلاثية: الأولوية للصناعة على الزراعة، الأولوية لقطاع الصناعات الثقيلة، الأولوية للاستثمارات الإنتاجية على تطوير الخدمات ".[3]

تحكمت الدولة في معظم وسائل الإنتاج. خلال الفترة 1967-1978، كانت حصة القطاع العام ، جميع الفروع مجتمعة ، 58٪ من العمالة ، و 65٪ من الناتج المحلي الإجمالي و 80٪ من

[1] المرجع نفسه،ص 54.

[2] المرجع نفسه.

[3] Mouaziz, op.cit., P.56.

الاستثمار. في الوقت ذاته الذي ظهرت فيه الثورة الزراعية عام 1971 بهدف إعادة الفلاحين إلى أراضيهم، كانت الدولة تعتزم أيضًا إسكانهم من خلال إنشاء 1000 قرية اشتراكية في عام 1973.[1]

استقطاب المدن المشاريع الاقتصادية وتطوير هياكلها ومرافقها مقابل عدم إيلاء الريف عناية مماثلة، جذب إليها من يرومون حياة أفضل، بخاصة فئة الشباب، ولو أنهم كانوا يجدون أنفسهم ممارسين لأنشطة فوضوية، مقيمين في بناءات فوضوية، داخل أحياء صفيح.[2]

زادت السياسة الاقتصادية بعد الاستقلال من عمق انكسار علاقة الريف بالمدينة بإعطاء أهمية للتنمية الحضرية دون الريفية الأمر الذي أدى إلى توافد وتدفق جموع بشرية جديدة على المدن التي أقيمت فيها المشاريع الاقتصادية.[3]لم تنجح سياسة الثورة الزراعية في تثبيت سكان الأرياف في أراضيهم، كما أن المخططات الاقتصادية والتخطيط المركزي في ظل الاقتصاد الموجه، ساهم في نزوح سكان المدن الداخلية إلى المدن الساحلية التي لم تكن مهيأة لاستقبالهم.[4]

بداية عقد التسعينات، تعادل عدد سكان المدن وعدد سكان الأرياف. وتحول المجتمع الجزائري من مجتمع ريفي تقليدي إلى مجتمع ذي أغلبية حضرية. وبدخول البلاد في حالة الفوضى واللاأمن ومع انخفاض مستوى المعيشة خاصة في المناطق الريفية المعزولة، عرفت المدن الجزائرية تدفقات بشرية شيدت حول أطرافها أحزمة بناءات فوضوية هربا من حالة اللاأمن وطلبا للرزق، ما أفسد على المدينة جانبها الجمالي، وأمست في ذهن مستخدميها مصدرا للقلق وضيق النفس وانعدام الأمن ومحلا لكل أنواع الاضطرابات.[5]يجب ألا ننسى أن أحياء الصفيح مرتبطة بالفقر الحضري الذي يفتح-كما صندوق باندورا-أصناف الآفات الاجتماعية.

اتباع اقتصاد السوق وفتح الباب أمام التجارة منذ هذا العقد، رافقه ظهور أنشطة تجارية موازية، تؤذي المشهد الحضري بعشوائيتها، كما ارتفعت في هذه المرحلة الهجرة من الأطراف إلى مقر الولاية.[6]

---

[1] Ibid.

[2] فتيحة شمام، مرجع سابق، صص54-55

[3] المرجع نفسه، صص53-54.

[4] المرجع نفسه،ص 54.

[5] المرجع نفسه، ص51.

[6] المرجع نفسه، ص54.

***جدول() :نسبة سكان الريف والحضر في الجزائر 1950-2020**

المصدر: [Mapping the World's Urban Population from 1500 to 2050 (visualcapitalist.com)]

	1950	1960	1970	1980	1990	2000	2010	2020
نسبة سكان المدن	22.21%	30.51%	39.50%	43.54%	52.09%	59.92%	67.54%	73.73%
نسبة سكان الريف	77.79%	69.49%	60.50%	56.46%	47.92%	40.08%	32.46%	26.27%

إذن يواجه تسيير المجال العمراني تحديات كبرى، حاول صانع القرار تجاوزها. سنقسم سياسات تسيير المجال العمراني على مرحلتين:

المطلب الثاني: سياسة العمران والمدينة قبل 1990

ارتبط التعمير منذ الاستقلال بالتشريعات العمرانية وأدوات التعمير التي عرفت في الفترة الاستعمارية واستمرت في التأثير على أدوات التعمير والتشريع العمراني لاحقا، وقد مدد، غداة الاستقلال، العمل بالقوانين ذات الأصول الاستعمارية إلا ما تعارض منها مع السيادة الوطنية، بموجب الأمر 62-157 المؤرخ في 31/12/1962.

في هذه المرحلة خبرت الجزائر **النظام الاقتصادي الموجه** المعتمد على **وسائل التخطيط المركزي**، يهمنا منها الخطط الاقتصادية الوطنية التي أثرت على حركة السكان، **كالخطة الاقتصادية الثلاثية (1967-1969)، والمخططان الرباعيان الأول (1970-1973) والثاني،** تم الشعور بآثار هذه السياسة، منتصف السبعينيات، وأوصى بإعادة التوازن المكاني للاستثمارات الاقتصادية من قبل الميثاق الوطني (1975). وقد أدت إلى وضع سلسلة من

المناطق والأقطاب الصناعية، كما هيئت المدن بمناطق سكنية جديدة ووسعت شبكات الطرق البرية.[1]

يمكن وصف السياسة الوطنية للتخطيط الحضري بالسلطوية، وقد انتشرت هذا النزعة حتى نهاية السبعينات، وقد سبق ذكر هذا. وطأ لمسار هذه تجارب السنوات الأخيرة من الاستعمار: الاهتمام شبه الحصري بالأنشطة الإنتاجية، وتطبيق مخطط قسنطينة وخيار التصنيع الذي ألهمه. وتوزيع عمليات الإنتاج الضخمة في مناطق من الإقليم (المحروقات، صناعة الصلب، الصناعة الميكانيكية الثقيلة...إلخ)، دون الاهتمام بتطوير المدن الجزائرية التي جذبت أنشطتها الصناعية عدد كبيرا من المهاجرين من الريف.[2]

كان التخطيط الحضري الجزائري في العقدين الأولين من الاستقلال مجرد تخطيط وليس تخطيطًا فضائيا وحضريًا. واتبع نهج اقتصادي وقطاعي للتخطيط. المدن الداخلية شهدت معدلات نمو أكبر. وقد أدت الترقية الإدارية، وخيارات اللامركزية والتوازن الجهوي إلى التطور السريع للمراكز الإدارية الاستعمارية السابقة، مثل باتنة، سطيف، تيارت، البويرة أن هذا التحضر السريع سيولد مشاكل إدارية على المستوى الكمي ولا على المستوى النوعي وعلى مستوى المعدات والبنى التحتية.[3]

المقاربة القطاعية للتخطيط: كانت برامج الاستثمار والتجهيز محكومة من قبل مختلف القطاعات الوزارية. قام كل قطاع (الوزارة) بتطبيق برنامج أعمال خاص به بشكل تجريبي ونسخه على الفضاء دون تنسيق حقيقي مع قطاعات النشاط الأخرى، مع التناقضات الوظيفية والمكانية التي ينطوي عليها ذلك. أهم القطاعات التي شكلت الفضاء الجزائري خلال هذه الفترة هي الصناعة والبنية التحتية، الصحة والتعليم، الإسكان.[4]

المشكلة المؤسساتية كانت تتمثل في تركيز جميع مهام التنمية في أيدي الدولة وأجهزتها. كانت العاقبة تصميما بيروقراطيا للبرامج.

شكلت أدوات التخطيط الحضري في هذه الفترة ترسانة قانونية ومنهجية للتخطيط:

- **المخطط العمراني الرئيسي (P.U.D.):** بموجب الأمر 29/73 المؤرخ في 08/07/1973 يرسم حدود المدن الكبرى، يأخذ بعين الاعتبار توسع النسيج العمراني للمدينة على المدى المتوسط، يحدد استخدام الأرض حسب الاحتياجات الضرورية للتجمع السكاني من سكن ومرافق، وهياكل أساسية ومساحات خضراء وتجهيزات.[5]

---

[1] فتيحة شمام، مرجع سابق، ص 50.

[2] Saidouni, op.cit., P. 205.

[3] Ibid., P.206.

[4] Ibid.

[5] فتيحة شمام، مرجع سابق صص42-43.

طابعه عام ولا يأخذ في الاعتبار الخصوصية المحلية. إن بطء الدراسات وتعسف القرارات القطاعية غير المتوقعة جعله غير قادر على مواكبة وتيرة التحضر والتخطيط القطاعي. الفاعلون الوحيدون هم السلطات العامة (البلدية ، الدائرة ، الولاية ، الخدمات الوزارية، الهيئات العامة ، الخ)[1]

- **منطقة الإسكان العمراني الجديد (Z.H.U.N.):**ليست في الواقع أداة لتخطيط المدن، بل هو إجراء تقني وإداري، تشارك فيه وزارة الإسكان أو الجماعات المحلية، ومكتب دراسة حكومي (CADA.T.)، كمقاول رئيسي وشركات إنشاءات. هدف Z.H.U.N هو الإسكان الجماعي بسرعة.

انشاء أدوات تهيئة، حالت الأزمة الاقتصادية دون تنفيدها، كالمخطط الولائي للتهيئة والمخططات التوجيهية لسنة 1990 كالمخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير، ومخطط شغل الأرض.

من بين جميع العناصر المكونة للفضاء الحضري، فإن الأرض هي العنصر الأكثر ديمومة. المحافظة على تقسيم قطع الأراضي والممتلكات التيتطبع الفضاء الحضري بآثارها، لفترة طويلة،تمنع حدوث قطيعة سياسية واقتصادية واجتماعية مفاجئة.

تفسر أهمية الأراضي غير المبنية والأراضي المبنية-العقارات-حقيقة أن كل عمليات التخطيط الحضري بها. تفسر أهمية الأرض أيضًا من خلال حقيقة أن التربة سلعة نادرة في السياق الحضري في ظل الطلب المتزايد عليها.

الدولة بوصفها ضامنة المصلحة العامة وصانعة سياسات التخطيط الحضري والمنظمة لاستخدام الأراضي، هي المتحكم الرئيس في سوق الأراضي من خلال سياسات الأراضي. من الجلي أن العلاقة بين سياسات التخطيط العمراني وسياسات الأراضي مترابطة.[2]

بعد الاستقلال شمل التأميم الأراضي، وعدت الملكية الخاصة ارثا استعماريا. أملى الخيار الاشتراكي قرار التأميم ومكنه إطار تنظيمي نتيجته تجميد سوق الأراضي لصالح حاجات السلطات المحلية (البلديات).[3]

منحت الوزارات والهيئات العامة والشركات الوطنية أراض شاسعة لمشاريعها. إن سياسة الأراضي هذه، المانحة سيطرة الأراضي للدولة، أنتجت تحضرًا موحدًا لم يعبء بالتضحية بالأراضي ذات القيمة الطبيعية والزراعية. استمرت عملية التأميم عقدين تقريبًا، بدأت بالأراضي المستعمرة سابقا، بمجموعة من المراسيم والأوامر والقوانين.*

[1]Saidouni, op.cit., P. 210.
[2]Saidouni, op.cit., PP. 171-172.
[3]Ibid, P.175.

* المرسوم رقم 62-02 بتاريخ 22-10-1962؛ المرسوم رقم 63-168 بتاريخ 09-05-1963: القانون رقم 63-276 26-10-1963؛ الأمر رقم 66-102 الصادر في 06-05-1966 بشأن العقارات الشاغرة.

شمل التأميم بعد ذلك المناطق الريفية في إطار الثورة الزراعية (الأمر رقم 71-73 المؤرخ 08-11-1971). جمدت الثورة الزراعية سوق الأراضي من خلال منع أي صفقة أو تقسيم للأراضي الزراعية التي قد تقع ضمن أحكام الثورة الزراعية. إضافة إلى تنظيم النشاط الرعوي (الأمر عدد 75-43 من 26-09-1975)، الذي يلغي أي حق من ملكية المراعي. أقرت أداة فنية لتصنيف الأصول العقارية هي السجل العقاري (الأمر رقم 75-74 بتاريخ 12-11-1975). [1]

بالنسبة لأراضي المناطق الحضرية أو القابلة للتوسع العمراني فقد أنشئت احتياطات الأراضي البلدية (الأمر رقم 74-26 المؤرخ في 20-02-1974)،لتجمد سوق الأراضي الحضرية كذلك، لإعادة توزيعها لصالح المؤسسات والهيئات الحكومية.[2]

إلى غاية سنة 1987، لم يكن للجزائر مخططات تهيئة ذات بعد إقليمي وطني. اعتمد في تلك الفترة على المخططات الاقتصادية، ومخططات العمران الموجه ومخططات التعمير المؤقتة ومخططات التحديث الحضري. واستأثر بتهيئة الإقليم خلال الفترة الممتدة من 1962 إلى 1974 على المستوى المركزي كل منالصندوق **الجزائري لتهيئة الإقليم CADAT، ومكتب الدراسات التقنية في الهندسة المعمارية والتعميرعلى المستوى المحلي**، وعلى مستوى كل ولاية كان هناك مديريات تعنى بالبنى التحتية والتجهيز.[3]

المطلب الثالث: سياسة العمران والمدينة منذ 1990

صدر في هذه المرحلة أهم قانونين منظمين للتهيئة العمرانية محددين لأدوات التهيئة العمرانية، هما القانون رقم 87-03 المتعلق بالتهيئة العمرانية، والقانون 90-29 المتعلق بالتهيئة والتعمير. في هذه المرحلة أيضا ادمجت التنمية المستدامة ضمن أدوات التهيئة العمرانية. [4]

الحوكمة الحضرية في الجزائر لاحت منذ التسعينات، وحاولت السلطة تصويب الاختلالات التي أحدثها نظام التخطيط المركزي. المسعى كان انهاء "النمط المعياري والمركزي للإدارة"الدخول على مسرح الحوكمة الحضرية بمعنى الإدارة "التي تعتمد على عدد كبير من الفاعلين وتبرز دور الوسطاء وتعبئة الفاعلين الاجتماعيين والبحث عن حل وسط بين المصالح المتباينة؟[5]

نأت سياسة العقار بعد 1990 عن المنطق الاشتراكي، وأقر قانون التوجيه العقاري (رقم 90-25 المؤرخ في 18-11-1990)، وقانون التهيئة والتعمير (رقم 90-29 المؤرخ في 01-12-

[1]Ibid, P.176.
[2]Ibid.

[3]فتيحة شمام، مرجع سابق، ص136.

[4]ساسي محمد، **أدوات التهيئة العمرانيّة فيّ الجزائر بيّن الواقع وتحدّيات التنمّية المستدامة**. ، جامعة عمار ثليجي بالأغواط. منشورات قسم علم الاجتماع والديمغرافيا ـــــ جامعة الأغواط. العدد 03. ص 222-223.

[5]Najet Mouaziz-Bouchentouf. Le mythe de la gouvernance urbaine en Algérie, le cas d'Oran. **Penser la ville – approches comparatives,** Oct 2008, Khenchela, Algérie. pp.159.

1990). تصنف هذه السياسة الأرض من وجهة نظر الاستخدام (أراض زراعية يجب حمايتها من التحضر، الرعي، الغابات، الأرض الحضرية والقابلة للتوسع الحضري...الخ) والملكية (الملكية العامة-الدولة والولاية والبلدية-والملكية الخاصة، والوقف).[1]

بالنسبة لمصادرة الأراضي، فقد أصر دستور عام 1989، أن تكون أي مصادرة للأراضي عادلة ومنصفة وأن يكون التعويض وفقًا للقيمة الحقيقية للأرض في المدينة. تحسن واضح مقارنة بالوضع قبل عام 1990.[2]

صدر قانون "التنمية وتخطيط المدن" في ديسمبر 1990 ونُقح قليلاً في عامي 2004 و 2005. في ذلك الوقت ، كان عليه أن يترجم مخاوف السلطات العامة الناتجة عن السياق السياسي والاقتصادي الذي ساد خلال نهاية الثمانينيات (دستور 1989 ، الأزمة الاقتصادية ، خطة التكيف الهيكلي مع صندوق النقد الدولي)

المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير "P.D.A.U"*‘ علاوة على مخطط شغل الأراضي "P.O.S"* من أدوات التخطيط الحضري تهتم بصور استغلال الأرض بدلا من برمجة الأنشطة، أي أنها تنظم عمليات مثل البناء والهدم لمختلف الفاعلين، عكس ما كان سابقا من سيطرة الدولة على هذه السوق. أعيد تأهيل حق ملاك الأراضي في سندات الملكية العادية، لا سيما في سياق البناء الذاتي والتطوير العقاري.[3]

تعتبر البلدية جهة فاعلة من بين جهات أخرى. يجب أن تشكل احتياطاتها العقارية باللجوء إلى سوق الأراضي واستخدام حقوق المصادرة والشراء التي تسمح لها بالحصول على صفقات جيدة وكبح المضاربة. أدى انسحاب البلدية من الإدارة المباشرة لسوق الأراضي إلى إنشاء منظمات متخصصة في إدارة الأراضي: وكالات الأراضي المحلية (A.F.L.) المسؤولة عن عمليات الترويج للأراضي والعقارات في إطار قوانين السوق، ووكالات تحسين وتطوير المساكن (A.D.L.)* (المرسوم التنفيذي رقم 91-148 الصادر في 12-05-1991).كما يمكن للوالي كممثل للدولة، تحويل الأراضي لمشاريع المنفعة العامة والإسكان والاستثمارات.[4]

تحرير سوق الأراضي خلق منافسة بين عدة جهات فاعلة. ومع ذلك يبقىللدولة ومؤسساتها مزايا لا يمكن إنكارها، لدورها كمنظمة للتحضر، ووضع أدوات التخطيط الحضري ومباشرة أعمال التخطيط الحضري).

[1]Saidouni, op.cit., P. 180.
[2]Ibid., P.181.
*PLAN DIRECTEUR D’AMENAGEMENT ET D’URBANISME.
*PLAN D’OCCUPATION DES SOLS.
[3]Ibid.
*مسؤولة عن تطوير الأراضي والممتلكات في إطار الإسكان الاجتماعي.
[4]Ibid., P.182.

المخطط التوجيهي للتهيئة والتعميرPDAU *: تطرق المشرع الجزائري للمخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير بموجب **القانون 90 -29 المؤرخ في01 ديسمبر1990** المعدل والمتمم بموجب **القانون 04 -05 المؤرخ في14 أوت 2004** المتضمن قانون التهيئة والتعمير والنصوص التطبيقية له.[1]يحدد التوجيهات الأساسية للتهيئة العمرانية للبلدية أو البلديات المعنية آخذا بعين الاعتبار تصاميم التهيئة ومخططات التنمية ويضبط الصيغ المرجعية لمخطط شغل الأراضي. وثيقة مرجعية لكل أعمال التدخل في العقار وبعد المصادقة عليه يعتبر ملزما لكل الهيئات المتواجدة في إقليم البلدية حتى للجهة المعدة له. يحدد مدى توسع المباني السكنية وتمركز المصالح والنشاطات وطبيعة وموقع التجهيزات الكبرى والهياكل الأساسية. تحديد الاحتياجات العقارية كونه هو المقسم للعقارات على تراب البلدية.[2]يقسم المناطق الى **القطاعات المعمرة والقطاعات المبرمجة للتعمير** الأمدين القصير (5 سنوات) والمتوسط (5 الى 10)، **قطاعات التعمير المستقبلية** وهي الأراضي المخصصة للتعمير على الأمد البعيد (آفاق 25 سنة)، **قطاعات غير قابلة للتعمير.**[3]

1. أدوات التهيئة العمرانية على مستوى المقاييس الكبرى الوطنية:

تعرف أداة التهيئة العمرانية: ***وسيلة الدولة القانونية والتقنية، التي يتم على إثرها بلورة أعمال التهيئة، وتوجهاتها الاستراتيجية، وبيان إجراءات تنفيذها، وهذا من أجل تحقيق أهداف مجالية معينة ضمن منطقة جغرافية محددة، قد تكون على المستوى الوطني أو الجهوي، أو المحلي.***"[4] أدوات التهيئة العمرانية بتقسيمها حسب مقاييس الامتداد المجالي في خريطة الوطن، تضم نوعين أساسيين من المقاييس الكبرى، بحيث يشمل كل منها جميع أقاليم ومدن الجزائر: يتمثل الأول في **المخطط الوطني للتهيئة العمرانية "SNAT"**، الثاني يخص المخططات التوجيهية للبنى التحتية الكبرى والخدمات الجماعية ذات المنفعة الوطنية.[5]

*التأثير الفرنسي عليه ظاهرا حيث أنه مقتبس من التصميم التوجيهي للتهيئة والتعمير (SDAU)Schéma Directeur d'Aménagement et d'Urbanisme الذي ظهر منذ سنة1967.

[1]غواس حسينة، **الآليات القانونية لتسيير العمران**، مذكرة ماجيستير في القانون العام فرع الإدارة العامة القانون وتسيير الإقليم، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الحقوق، قسم الحقوق والعلوم السياسية، 2011-2012. ص15

[2]المرجع نقسه، ص17.

[3]زهرةأبرباش، **مراحل تطور ميدان العمران وإطاره القانوني في الجزائر من خلال قانون 11/ 10.** المجلةالجزائريةللعلومالقانونيةوالاقتصادية والسياسية. Vol 45، رقم 2، ص 338-339.

[4]ساسي محمد، مرجع سابق، ص223.

[5]المرجع نفسه.

- **المخطط الوطني لتهيئة الإقليم SNAT** نص عليه القانون **20/01 المتضمن تهيئة الإقليم وتنميته المستدامة**، يتكفل عن طريق **برامج العمل الإقليمية"PAT"**بتجسيد الخطوط التوجيهية التي تضمنها المخطط الوطني لتهيئة الإقليم.[1]

2. **أدوات التهيئة العمرانية على مستوى المقاييس المتوسطة (الجهوية)**: تنقسم إلى ثلاثة أنواع رئيسية أولها المخططات الجهوية للتهيئة العمرانية، وثانيها المخطط التوجيهي لتهيئة السواحل، وثالثها المخطط التوجيهي لحماية الأراضي ومكافحة التصحر.[2]

3. **أدوات التهيئة العمرانية على مستوى المقاييس الصغرى (المحلية)**: هي المخطط الولائي للتهيئة، والمخطط التوجيهي لتهيئة مجالات الحواضر الكبرى، وأدوات التهيئة العمرانية المتمثلة في المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير ومخطط شغل الأرض.[3]

- **مخطط تهيئة الإقليم الولائيPAW :** لتجسيد توجيهات المخططات الجهوية لتهيئة الإقليم، تم تدعيمها بمخططات تهيئة الإقليم الولائي، يعد بمبادرة من الوالي، للمدة التي يشملها المخطط الجهوي لتهيئة الإقليم أي عشرين سنة ويعرض على المجلس الشعبي الولائي للمصادقة عليه، أحيلت مسألة كيفيات إعداد مخطط تهيئة إقليم الولاية على التنظيم.[4]

- **المخططات التوجيهية لتهيئة فضاءات الحواضر الكبرىSDAAM** :استحدث هذا النوع من المخططات بموجب القانون رقم 20/01 المتعلق بتهيئة الإقليم وتنميته المستدامة، تمتاز بالتخصص مقارنة بمخططات تهيئة الأقاليم الولائية، المخططات التوجيهية لتهيئة فضاءات الحواضر الكبرى من أدوات تهيئة الإقليم وتنميته المستدامة. وباعتبار كل من العاصمة، وهران وعنابة وقسنطينة حواضر كبرى، فإنها موطن تطبيق هذه المخططات.[5]

- **مخطط شغل الأراضي:** مخطط يحدد بالتفصيل قواعد استخدام الأراضي والبناء عليها في إطار احترام القواعد التي تضمنها المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير. يحدد حقوق البناء واستعمال الأراضي لكل من القطاعات المحددة، وأنماط البنايات المسموحبها، ومظهرها الخارجي وارتفاعها، المناطق التي يحظر فيها البناء، المناطق العمرانية الجديدة وكيفية تهيئتها، تخصص المناطق المواقع الواجب حمايتها وتجديدها وإصلاحها. يتشكل من لائحة تنظيم ومجموعة من الوثائق والمستندات. [6]مخطط شغل الأراضي وسيلة تنظيمية للتسيير

---

[1]فتيحة شمام، مرجع سابق، ص110.

[2]ساسي محمد، مرجع سابق، ص227.

[3]فتيحة شمام، مرجع سابق، ص144.

[4]المرجع نفسه.

[5]المرجع نفسه.

[6]زهرةأبرباش، مرجع سابق، ص 336.

الحضري والبلدي له طابع إلزامي للبلدية لتعمير كامل إقليمها أو أجزاء منه وتشكيل إطارها المبني.يغطي في غالب الأحيان تراب بلدية كاملة، تمنح قرارات التعمير على أساسه، يكتسب قوة القانون، قابل للمعارضة أمام الغير ويشكل مرجعا تنظيميا للسلطات العمومية المحلية.[1]

يقسم القطاعات إلى مناطق وظيفية. وتقسيم المناطق إلى قسمين رئيسيين هما المناطق العمرانية (تقسم بدورها إلى مناطق فرعية حسب خصوصية نشاط كل منها مثل المراكز التاريخية، المنطقة المعدة للبناء، أو المعدة للنشاطات الصناعية)، والمناطق الطبيعية هي الأراضي التي من الواجب المحافظة عليها كما هي كالمناطق التي تتمتع بميزات وثروات طبيعية وثقافية، المناطق الفلاحية ذات الجودة والمردود العالي والمناطق المعرضة للكوارث الطبيعية[2].

شهدت سنة 2001 بداية التحول، في سياسة وطنية لتهيئة الإقليم وتنميته المستدامة، جاءت لمعالجة المشاكل العمرانية والبيئية التي ترتبت عن المخططات العمرانية الحضرية ذات المدى الضيق والمحدود، واستحدثت مخططات عمرانية تعمل على الحد من ظاهرة النزوح الريفي نحو المدن، والعمل على استقرار السكان بمناطقهم الريفية والحد من ظاهرة البناء الفوضوي. ، ثم تبنت سياسة جزئية لتهيئة الإقليم من خلال **القانون رقم20/01 المتعلق بتهيئة الإقليم وتنميته المستدامة** تشخيص وضعية الإقليم قصد تشخيص الوضعية لكل ما هو متعلق بالإقليم ووضع خطة شاملة تقوم على التسلسل والتدرج في التطبيق.

تأخر التأطير التشريعي والتنظيمي للمدينة إلى غاية سنة 2006 بصدور **القانون رقم 06/06 المؤرخ في 20 فيفري 2006المتضمن القانون التوجيهي للمدينة**[3]

القانون التوجيهي للمدينة رقم 06/06 المؤرخ في 20 فيفري 2006 إطار تشريعي لترقية المدينة، ويكرس مبدأ التشاور والتكامل في إعداد الاستراتيجيات المتعلقة بسياسة المدينة وترقية الاقتصاد الحضري والتنمية المستدامة، التقليل من الاختلالات في المناطق الحضرية ومراقبة توسع المدن واعتماد قواعد التسيير والتدخل والاستشارة. تقوم على مبادئ التعاقد والشراكة. هذا القانون يدرج التسيير العمراني في مجال الحكم الراشد عن طريق عدم التركيز، اللامركزية، التسيير الجواري والتنمية المستدامة. الدولة تبادر بسياسة المدينة وتديرها، تحدد الأهداف والإطار والأدوات بالتشاور مع الجماعات الإقليمية، وتوضع في حيز التنفيذ في إطار اللاتمركز واللامركزية والتسيير الجواري.[4] يوضع تنفيذ البرامج والنشاطات المحددة في إطار سياسة المدينة في طرف الجماعات الإقليمية التي يتعين عليها التكفل بتسيير المدن التابعة لها،

[1] غواس حسينة، مرجع سابق،ص27.

[2] المرجع نفسه، ص34

[3] فتيحة شمام، مرجع سابق، ص45.

[4] المرجع نفسه.

المحافظة على أملاكها المبنية ووظائفها ونوعية معيشة سكانها.[1] قانون التعمير يلزم الإدارة باشراك البلدية في مناقشة ودراسة المشاريع والتجهيزات وتصاميم التهيئة التي ستقام على أراضيها الا ان هذا التدخل يظل غير كاف، انعدام التنسيق بين السلطة المركزية والبلدية يؤثر بشكل مباشر على سياسة التهيئة العمرانية.[2]

تقوم سياسة المدينة على مجموعة مبادئ هي: **مبدأ التنسيق والتشاور، التعمير والتخطيط، مبدأ اللاتمركز، مبدأ اللامركزية، المشاركة.**[3]

المادة 19 من القانون رقم 06/06 المتضمن القانون التوجيهي للمدينة ذكرت المخططات التي تشكل أدوات لتهيئة الإقليم وتنميته المستدامة وفي الإطار نفسه أدوات تخطيط مجالي وحضري لسياسة المدينة: **المخطط الوطني لتهيئة الإقليم، المخطط الجهوي لجهة البرنامج، المخططات التوجيهية لتهيئة فضاءات الحواضر الكبرى، مخطط تهيئة الإقليم الولائي.**[4]

برامج تهيئة الإقليم"PAT": برامج عملية تترجم الخطوط التوجيهية وبرامج العمل للمخطط الوطني لتهيئة الإقليم، عددها 20 برنامجا.

[1] المرجع نفسه، ص99.

[2] زهرةأبرباش، مرجع سابق،ص336.

[3] الجريدة الرسمية 2006، ص 18.

[4] فتيحة شمام، مرجع سابق، ص69.

الفصل الثالث:
سياسة المدينة في الجزائر والوظيفة الرمزية

الفصل الثالث: سياسة المدينة في الجزائر والوظيفة الرمزية

يرى ديفيد عارفي أن مفاهيم المكان هي بنيات اجتماعية، تشتغل ضمن حدود الحقائق الموضوعية*. هذه المفاهيم جزء من إعادة الإنتاج الاجتماعي وتساهم في التغيير الاجتماعي. يحصل التغيير بطريقتين: إما أن تفرض قوى خارجية مفاهيمها عن الفضاء، أو أن تتولد هذه التغيرات من داخل التنظيم الاجتماعي.

التعريفات الموضوعية للفضاء متضمنة في عمليات إعادة الإنتاج الاجتماعي: تنظم الجماعات تراتبيتها الاجتماعية، أدوار الجنسين، تقسيمات العمل بالتوافق مع نمط معين من التنظيم الفضائي.[1]

المدينة الجزائرية نتاج تراث مزدوج، التراث الذي سبق 1830 والتراث الذي جاء به الاستعمار. سعت السلطات العامة للاستجابة للمسائل الحضري الأكثر إلحاحًا، وانتهى بها الأمر منتجة عمارة فيها شيء من الارتجال، تتجاهل الماضي والموروث منه، بيئة مبنية غير مجهزة بشكل كافٍ وتتسم بالفقر المعماري، وفوق هذا تراث معماري حضري ثري، في حالة تدهور.[2]

لقد تحولت مفاهيم الفضاء في السياق الجزائري بأن فرضت عليها من قبل المستعمر الفرنسي، وتحولت مرة أخرى بعد الاستقلال لما وقع من تحولات داخل المجتمع. سنتناول هذين الشقين في المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: الإرث الاستعماري وواقع المدينة الجزائرية

لكل تنظيم مجتمعي تصوراته ومفاهيمه الموضوعية للزمن والفضاء الملبية حاجاته ومقاصده لاعادة الإنتاج المادي والاجتماعي، وتنظم ممارساتها حسب تلك المفاهيم. المجتمعات في تحور مستمر، تتحول بداع من الداخل وتتأقلم مع الضغوطات والتأثيرات من الخارج. وعليه فان تصور المجتمع للفضاء يجب أن يتحول باستمرار ليلائم ويواكب الممارسات المجتمعية الجديدة وإعادة الإنتاج الاجتماعي. تفرض مفاهيم جديدة عن الفضاء والزمن بالقوة من قبل القوى الاستعمارية أو الهيمنة النيوكولونيالية. وبذلك تغير الإطار الاجتماعي للمجتمعات المحتلة.

*صحيح أن العملية التي تم من خلالها انتاج شكل الفضاء هادفة، ولكن الشكل العام أيضًا، نتاج لقوانين مكانية تملي إمكانية، وأحيانا حتمية شكل معين. النموذج المجرد موجود بشكل موضوعي في التنظيم المكاني.أنظر **The social logic of space**, BILL HILLIER JULIENNE HANSON, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, 2003. New York.35-38

[1]David Harvey. Betweenspace and time : Reflections on the Geographical Imagination. Annals of associations of American Geographers, vol. 80, No. 3 (sep. 1990), pp 418.

[2]Sciences & Technologie D - N°37, Juin (2013). pp.39-50 © Université Constantine 1, Algérie, Juin 2013 L'IMPACT DE L'URBANISME COLONIAL SUR LA FABRIQUE DE LA VILLE ALGERIENNE CHAOUCHE Salah. 40

فككت سنة الملكية الفردية التي سنتها الإدارة الاستعمارية للفلاحين الجزائريين العلاقات التي تنسجها القبيلة، ومنه الإطار الاجتماعي، دون أن تنشأ روابط تملء الفراغ. حطم نشوء الملكية الخاصة العلاقات الاجتماعية القديمة دون إيجاد بديل أحسن نوعا.

الجزائر محاصر في أرضه (الصحراء منطقة عسكرية) بعد أن كانت فئة من السكان تنتقل لتواكب الأوضاع المناخية، والجغرافية. ان من أوائل الأمور التي قامت بها فرنسا التحكم في الفضاء عبر تقسيم الأراضي وتوزيع السكان على الأراضي حسب الهرمية الاجتماعية، أما الجزائريون فقد كانوا أصلا خارج هذه الهرمية. كانوا عنصرا يحب حجبه وعدم اشعار الأوروبيين بوجوده.

قوانين نزع الملكيات العقارية (الاخلال بالمنطق الداخلي للتوازن الاجتماعي وتفكيك القبائل). القبيلة عائق أمام التوسع الاستعماري، طبق الاستعمار سياسة نزع الملكية العامة وعمم الملكية العقارية الفردية، بغرض تسهيل تملك المعمرين. انتزاع الملكية العقارية بواسطة مراسيم وقوانين.

أضعفت ان لم تكن قد دمرت القوانين العقارية الاستعمارية الروابط الاجتماعية وخلقت كيانا مجهولا: الفرد. تقسيم الأرض يشير إلى تحطيم مبدأ جماعية الأرض الذي يحفظ التوازن الاقتصادي ويجعل من الممكن "الإقامة الجماعية اللازمة لمواجهة التقلبات المناخية. عبرت عن التغيرات التي طرأت على نمط حياة الجزائريين من تطور السكن، والانتقال من الخيمة إلى "الجوربي" وتعميم استعماله كمنزل نهائي: علامة واضحة على انهيار الاقتصاد السابق ونمط الحياة السابق.[1]

ألحقت السلطات الاستعمارية الأرض المشاعة بأملاك الدولة، أما الأراضي المملوكة فيجب اظهار صكوك قانونية تقيم الحجة على ملكيتها. **"ان عملية التملك الفردي للأرض... ستؤدي في الواقع إلى قلب مجموع العلاقات الاجتماعية السائدة ومعاكسة المنطق الاجتماعي الذي كان يحكم إعادة استعمال وإعادة انتاج الوحدات الاجتماعية".**[2]

اعتقد المستعمرون الفرنسيون أن إعادة بناء القرى والمدن ستمكنهم من إنتاج نظام اجتماعي جديد ومواطنين مستعمرين. المستوطنات الفرنسية الحديثة شيدت بجوار المدن العتيقة لكنها منفصلة عنها. بهذه الطريقة ينتج التخطيط والتصميم الحضريان بيئة تحافظ على التراتبية الاجتماعي الذي فرضته فرنسا.

ينطوي فعل تسمية الكيانات الجغرافية ذاته على سلطة عليها، ولا سيما على الطريقة التي يتم بها تمثيل الأماكن وسكانها ووظائفهم الاجتماعية. قال ***إدوارد سعيد: يمكن انهيار هوية***

[1]عدي هواري، **الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي 1830-**1960، ترجمة جوزيف عبد الله، بيروت: دار الحداثة، ط1، 1983. 95

[2]عدي هواري، **الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي 1830-**1960، ترجمة جوزيف عبد الله، بيروت: دار الحداثة، ط1، 1983. 59

الشعوب المتنوعة، وتشكيلها، والتلاعب بها من خلال الدلالات والارتباطات المفروضة على الاسم من قبل الغرباء. تكثر الصراعات الأيديولوجية حول معنى وطريقة مثل هذه التمثيلات أظهرت الحداثة وما بعد الحداثة معارضة واحتجاجا للمفاهيم والقيم التقليدية.[1] وبهذا المنطق مارست الإدارة الفرنسية سلطتها على الفضاء الجزائري بإعادة تسمية الشوارع (وأحيانا وسم شوارع الجزائريين بأسماء فيها ازدراء)، والبلدات والمدن. وسم الوحدات المكانية بالإدارية، القانونية يحدد نطاقات الممارسات الاجتماعية التي لها تأثير عام على تنظيم الحياة الاجتماعية.[2]

فرضت المدينة الاستعمارية نفسها على المدينة التقليدية من خلال خلق "مدينة فوق المدينة". على الرغم من ازدواجية النظامين الحضريين، أصبحت المدينة الناتجة هجينة وانتهى بها الأمر للعمل في تعايش. لأن العضو المزروع داخل المدينة قد تم رفضه؛ الفتح بالسلاح يليه الفتح عن طريق تخطيط المدن والعمارة. الهدف النهائي هو تشكيل مدينة واحدة تضم السكان الأصليين والأحياء الأوروبية.[3] يجب أن نذكر أيضا أن الطرز المعمارية هي خيارات أيديولوجية بقدر ما هي خيارات استطيقية، في هذه الحالة مورست من خلالها السيطرة.

تمثيلات المدينة يهيمن عليها الخيال الغربي. فشلت تصورات التخطيط العقلاني الغربي في التعامل مع ظروف وخصوصيات المدن غير الغربية. عمليات العولمة عطلت المدن باعتبارها مساحات متجانسة. تخيلات المدن قوية ولها آثار. قد تمثل محاولة للتغلب على شعورنا بالغربة عن المدينة، يمكن أن تكون إما هروبًا من مشاكل المدن، أو مقاومة لها، أو كلاهما. التمثيلات والتصورات في حالة تغير مستمر وهي أيضًا عرضة للنزاع من قبل الذين يشعرون بأنهم مستبعدون أو على هوامش الخيال المهيمن.[4] الفضاء الحضري الذي انتجه المستعمر لم يكن يرحب بالجزائري، قال أحد الجنرالات الفرنسيين: **"لهم –السكان المحليون-انتاج الحبوب، الزراعة الكبيرة، وتربية الماشية، وهذا ما لا يمكننا أن نزاحمهم فيه. ولنا، الزراعة الصناعية والتجارة والصناعة والغابات وسكك الحديد والأعمال الكبيرة ذات الاستعمال العام، وأخيرا لنا المدن".**[5]

أرادت باريس، تحويل الجزائر العاصمة إلى مدينة أوروبية، إلى مدينة فرنسية. تدخل السياسة هنا حاسم فالحكومات الفرنسية ستمنح المدينة كل سمات العاصمة الفرنسية، وفي النهاية تصير لمدينة الجزائر شخصية هوسمانية.[6]

[1]David Harvey. Betweenspace and time : Reflections on the Geographical Imagination. Annals of associations of American Geographers, vol. 80, No. 3 (sep. 1990), pp 419.

[2]David Harvey. Betweenspace and time : Reflections on the Geographical Imagination. Annals of associations of American Geographers, vol. 80, No. 3 (sep. 1990), pp 419.

[3]Sciences & Technologie D - N°37, Juin (2013). pp.39-50 © Université Constantine 1, Algérie, Juin 2013 L'IMPACT DE L'URBANISME COLONIAL SUR LA FABRIQUE DE LA VILLE ALGERIENNE CHAOUCHE Salah. 43

[4]A companion to the city, edited by Gary Bridge and sophiewatson. Blackwellpublishing, 2003 16-17

[5]عدي هواري، 73.

[6]Maouia 202

لقد حلل ديفيد هارفي محاولة جورج هوسمان زعزعة النشاط السياسي للثورة الفرنسية عام 1848 من خلال بناء ثلاثة شوارع دمرت منازل وأحياء الطبقة العاملة والعاملين الفقراء في باريس. وقس ذلك على حال مدينة الجزائر. تسلط العلاقات الفضائية على الدور الحاسم للقوة السياسية والاقتصادية عندما تقترن بهيمنة الدولة على تكوين الفضاء الحضري.[1]

ويصاحب النزعة الاستعمارية الرغبة في عدم رؤية "الساكن القديم" أو " الأصلي". يتعايش الفضاءان، وأحيانًا يتداخلان لكن دون امتزاج. وليس من قبيل المصادفة أن تستضيف المدينة عام 1933 ثم في عام 1936 معارض "المدينة الحديثة".[2]

المبحث الثاني: المدينة الجزائرية من التغريب إلى التشوه

مواقع أثرية غير معتنى بها، ارث تخطيط حضري استعماري، وذهنية فرنسية حاضرة رغم رحيل من جاؤوا بها، سكنات دون هوية. ان المدينة بالفعل انعكاس لمجتمعها:

اهتمامنا بسياسة المدينة بعد الاستقلال، يجبرنا على فهم المدينة الاستعمارية. ان المشكلة تكمن في أن المدن الجزائرية فيها ازداوجية: الشق الذي كان للجزائريين والقسم الذي كان للمستوطنين. كان هناك مجتمعان يعيشان معا على أرض واحدة أحدهما مسيطر والثاني مخضع بالقوة. ما بني للجزائريين كان من باب استخدام الفضاء الحضري كتقنية سلطوية (بتعبير ميشال فوكو) للتحكم في الجزائريين، اخفاءهم، اخضاعهم، اسكاتهم وكتمهم، واستعمالهم عند الحاجة. كان الجزائريون نازلي منازل الصفيح والأحياء الهشة، واحتلوا الفضاءات الهامشية التي تعبر عن هامشيتهم هم. محيطهم المبني منازلهم وأحياءهم لا تفعل أكثر من حفظ أهم الغرائز البدائية: غريزة البقاء. بغض النظر عن الظروف الصحية. كان عليهم البقاء أحياءً.

أما المجال الحضري الذي احتله المستوطنون: فيلبي حاجات المدنية الحديثة، ويوفر الظروف الصحية المناسبة وسبل العيش الرغد. المدينة الأوروبية في الجزائر بنيت للأوروبيين، امتداد لهم، لهويتهم وثقافتهم وتنظيمهم المجتمعي. تحمل قيمهم، فبينما تعزز وتخدم البيئة المبنية الجزائرية قيما كالحرمة وروح الجماعة، البيئة الفرنسية تعزز قيم التفتح والفردية.

المعضلة هنا، أن سياسة المدينة بفروعها وأبعادها لازالت تستعير وتستلهم من النمط الفرنسي، الذي انتجفي الأصل لقوم غير الجزائريين ولإخضاع الجزائريين. إبقاء الفضاء الحضري بهذه الصفة يعزز الاغتراب. ابقاؤنا على النمط الفرنسي يعني تثبيتنا لمقاصده الخفية. لكن العودة الى الأشكال التقليدية أيضا مستحيلة، لان تركيبة المجتمع تحورت، وتأثر المجتمع الجزائري كبقية المجتمعات بالثورة الصناعية والرأسمالية والعولمة، التي انبثقت من مجتمع غير مجتمعهم. نحن نعرف –وقد عرضنا على جوهرية العامل الاقتصادي في حياة المدن فيما سبق،

[1]SethaLow, **Spatializing Culture The ethnography of space and place.** First published. 2017. Routledge. New York.38

[2]Jordi Jean-Jacques. Alger 1830-1930 ou une certaine idée de la construction de la France. In: Méditerranée, tome 89, 2-3 .1998 -La ville et ses territoires en Méditerranée septentrionale. pp. 29.

أن العودة إلى الأنماط الاقتصادية التي سادت قبل الاستعمار أمر مستحيل. وارجاع مشاعية الأرض وشد أواصر النظام القبلي كذلك مستحيل. ان التفاعلات التي تحصل في المجتمعات البشرية كالتفاعلات الكيميائية، لا ترجع أبدا إلى ما كانت عليه. ان المجتمعات لا تتوفر على خاصية النكوص، انه دوما في تحول، وهذا ما يجب فهمه. يجب فهم الفرد الجزائري والمجتمع الجزائري أولا لتخليق بيئة حضرية ملائمة. ويجب قبلا فهم ممارسات البيئة الحضرية الحالية عليه. إن التأثير متبادل. احتفظت المدينة الجزائرية بهيكلها ومحيطها المبني-ما لم ينهدم منه أثناء حرب التحرير-واحتفظت بالذهنية الفرنسية في التخطيط.

ان هذه المدن ابنة التطور التاريخي التي بناها الانسان، تبنيه هي. هذه المدن التي بناها الاستعمار قبل قرن وعقود، تبني الجزائري بدورها، تشكله، تساهم في عجن هويته (إضافة الى عوامل أخرى معقدة). نظن خطأ أن الفضاء المبني أصم وميت، انه حي، انه فعال، انه ينطق عبر الانسان، وما التذمر الذي على لسان الجزائريين إلا صورة من ذلك. الأحياء الحضرية الهشة تطرح مشكلة الفقر الحضري، الذي يرتبط-كما تثبت أدبيات علم الاجتماع الحضري-بالآفات الاجتماعية. إن تأمل انبثاق انسان سوي من هذه البيئات الحضرية الهشة أمل دون طائل،

صورة المدن الجزائرية لا تعبر بالضرورية عن رؤية واضحة، وسياسات العمران والمدينة تظهر استجابة لمشاكل مجتمعية كالسكن والنقل مثلا (نتحدث في السياسات العامة عن السياسات البناءة والسياسات التي تأتي كرد فعل وشتان بينهما). ان عدم الوضوح هذا يعبر عن مسألة أعمق من المباني. يأثر هذا الأمر على مستويين، فمن جهة لم تختص المدينة الجزائرية بطابع خاص رغم الثراء الحضاري يؤهلها لأن تصبح علامة تروج للسياحة. ومن جهة أخرى، يؤثر هذا الأمر على المواطن الجزائري.

مفاهيم الزمان والمكان تتحول بتحول الممارسات الاقتصادية والسياسية. "إنشاء البنى المكانية واستخدامها كعلامات ثابتة للذاكرة البشرية والقيم الاجتماعية في عالم سريع التغير".[1] الأشكال المختلفة من المساحة المنتجة تمنع أو تسهل عمليات التغيير الاجتماعي. في الحقيقة يمكن التفكير في المدينة الجزائرية كمدينة تحصر الفرد في البحث عن حاجاته الأساسية لا غير، ألا توصف التجمعات السكنية بـ"المدن المراقد"، ب، التخطيط الوظيفي لا يزال حاضرا حاصرا المدينة في وظائفها الأساسية وعليه محاصرا المواطن في تحقيقها.

صورية الفضاء تجلو معناه ووظيفته، ولهذا يجب أن تكون منظمة وقروءة. ان الفرد ليس خاملا لما يواجه الفضاء الذي يحيط به، إنه في تفاعل مستمر مع عناصر الفضاء الحضري. يحتاج الانسان إلى تبين موقعه، فالفهم والتفسير حاجات انسانية، تنظيم التصورات والتأثير

[1]David Harvey. Betweenspace and time : Reflections on the Geographical Imagination. Annals of associations of American Geographers, vol. 80, No. 3 (sep. 1990), pp 429.

على السلوكيات. من ناحية أخرى، يسبب الارتباك وسوء الفهم التوتر والارتباك وتشويه الأحكام وبناء تمثيلات مشوهة. [1]

بالنسبة لمبادئ هيكلة وتنظيم الفضاء الحضري بما يثير المسرات الحسية ويتلافى الارتباك والتوتر، فأهمها: المركز، يمكن أن يكون هدفًا نقطة بداية أو نقطة توقف. المسالك، تجسد ديناميكية الإنسان. عندما يكون لها تكوين واضح غير متقطع، فإنها تسهل اتباع الاتجاه. [2]

تفسر نظرية الجاشطالت بعض من عمليات تفاعل المستخدم والفضاءمن خلال مجموعة مبادئ منها:

- **التقارب:** رؤية العناصر قريبة من بعضها البعض كوحدة. هذا يسهل العمل العقلي ويمنح الراحة البصرية. الفضاء الحضري الحديث في الجزائر مجزأ ومشتت، مما يجعل المراقب مضطربًا لأنه يجعل محاولات إعادة التجميع صعبة. [3]

[1]**Algérie France jeunesse, ville et marginalité. Sous la direction de Hervé Cellier et AblaRouag-Djenidi. L'Harmarttan, 2008. Paris. Publié en Algerie aux éditions Chihab. Les grands ensembles, entre configuration spatiale et comportement humain** noufelbahri et ablarouag. 22

[2]**Les grands ensembles, entre configuration spatiale et comportement humain** noufelbahri et ablarouag. 22

[3]**Algérie France jeunesse, ville et marginalité. Sous la direction de Hervé Cellier et AblaRouag-Djenidi. L'Harmarttan, 2008. Paris. Publié en Algerie aux éditions Chihab. Les grands ensembles, entre configuration spatiale et comportement humain** noufelbahri et ablarouag. 23

الصورة (): حي صفيح في سيدي بلعباس

***المصدر:** [Sidi Bel-Abbès: Manifestation après un incendie dans un bidonville - Algerie360]

الصورة ():بلدية حاسي بونيف وهران

المصدر: [جريدة التحرير الجزائرية(altahrironline.dz)]

- **التشابه: العناصر التي تبدو متشابهة تميل إلى أن يتم تجميعها معًا بسهولة أكبر بواسطة العقل البشري. يسمح بالتصنيف (البديل الحديث هو نمط متكرر واحد يثير الرتابة والسأم.**

الصورة (): سكنات بتيارت.

المصدر: [Nouvelle page 1 (aadl.com.dz)]

الصورة (): سكنات عدل، بومرداس.

المصدر: Nouvelle page 1 (aadl.com.dz)

- **الاستمرارية: يفترض وجود عناصر مفصلية مثل الشارع والمربع والجادة وما إلى ذلك. من السهل إدراك العناصر على أنها أجزاء من وحدة واحدة. المساحات الحديثة P23 التي تتميز بانقطاع وعزل الوحدات السكنية في مساحة غامضة ، تنتج مساحة منفصلة يصعب استيعابها ككل.**

الصورة (): سيدي عبد الله، الجزائر العاصمة.

المصدر: Le logement public en Algérie - BlogBeytic, site algérien d'annonces immobilières

***المدينة الجديدة سيدي عبد الله عام 2018، الجزائر العاصمة.**

المصدر: [En Algérie, les villes se transforment pour répondre à la crise du logement - ritimo]

بما أننا نتحدث عن الفضاء الاجتماعي فانه لا توجد مساحة محايدة. يحتوي الفضاء على كل الخبرات البشرية. تعتمد المعاني على كل من صورة الفضاء المادي، على استعدادات فردية وعلى السياق الاجتماعي.[1] تكون هوية الإنسان جزئياً بفضل الفضاء. يجب أن يكون الإنسان قادرًا على فهم وتحديد ما يراه. توفر الصورة الواضحة الأمان العاطفي. تسمح التوجيهات الجيدة أيضًا بالالتقاء والتفاعل (الشوارع والساحات).

تقدم المجمعات السكنية الكبيرة الحل لبناء عدد كبير من الوحدات السكنية بشكل سريع وواسع وبتكلفة أقل. في الحقيقة هذه البنايات تشبه أعمدة ضخمة منصوبة وسط الطبيعة.[2] بينها فجوات واسعة، وتحيط بها مساحات غير مطورة، تثير الإحساس بالضياع والرتابة. المعضلة أن هذا المنتج قدم لسكان يبحثون عن هويتهم بعد قرن ويزيد من الاستعمار.

[1] **Algérie France jeunesse, ville et marginalité. Sous la direction de Hervé Cellier et AblaRouag-Djenidi. L'Harmarttan, 2008. Paris. Publié en Algerie aux éditions Chihab. Les grands ensembles, entre configuration spatiale et comportement humain** noufelbahri et ablarouag. 24

[2] **Les grands ensembles, entre configuration spatiale et comportement humain** noufelbahri et ablarouag. 27

تحويل الشوارع والساحات العامة التي كانت مبنية في السابق إلى ممرات مرور للسيارات، ابعد ساكن المدينة من الحيز العام وترك له المساحة الخاصة فقط.[1]

تقدم المدينة الجزائرية نفسها اليوم على أنها فسيفساء اجتماعية-مكانية غير متجانسة. النواة العتيقة، والنواة الاستعمارية، ومجمعات الإسكان المحيطة بها، والمجمعات السكنية الكبيرة توجد جنبًا إلى جنب. الأشكال الحضرية المتباينة تشهد على عدم تجانس الطبقات الاجتماعية والجهات الفاعلة في المدينة. تكشف قراءة المشهد الحضري عن أنماط النزول الفضائي حسب الفئات الاجتماعية المختلفة.

على المستوى الاجتماعي، هذا المدن الجديدة التي يمكن وصفها بالنسخ تقريبا، تأوي، يا للمفارقة، خليطاً غير متجانس من السكان. هذا الشبه الظاهري، هذه الصورة المعمارية الموحدة، تأوي "فسيفساء اجتماعية"،[2] يثير تجمعها في فضاء واحد مشاكل عويصة، غلياناً داخلياً. من عندهم الوسائل المادية يغادرونها أما البقية فانهم يظلون مرغمين. وفر نظام الحومة تضامنا فضائيا يعوزه نظام إعادة الإسكان الذي يجمع كل الفئات الاجتماعية معا مما يخلق حالة عدم انسجام داخل المدينة برمتها. [3]

تحول الجزائر من دولة تقليدية ريفية الى دولة ذات أغلبية حضرية أحدث انقلابات عميقة في المستويين الاجتماعي والنفسي. تدلل الهجرة الريفية على الإصلاحات الريفية غير الموفقة، حيث أفرغت من ثروتها البشرية مما أدى الى اهمال الزراعة، وأربكت بنى المدن، التي لم تقدر على مواكبة النمو الحضري.[4] *يتحدث علم الاجتماع الحضري وعلماء المدن كثيرا عن ترييف المدينة:*

" ان المناطق السكنية الحضرية الجديدة أنتجت أفرادا ومجموعات [...] لا هم حضر ولا هم ريفيون، إنهم في المدينة [...] بأعدادهم الكثيرة، لكن المدينة ليست عندهم، إنما يذهبون إليها لأسباب كثيرة وبغير سبب لأنها المدينة، يذهبون ويعودون إلى مناطقهم السكنية لتأويهم، [...] وكأنهم يشعرون بعقدة ما لأنهم مقيمي هذه المناطق، كأنهم خارج نظام ودورة المدينة. لقد انقطع هؤلاء السكان عن ماضيهم (الحضري أو الريفي)، ثم ها هم يريدون الانقطاع عن مناطقهم الجديدة لكن المدينة لا تجد عندهم شيئا مهما لتأتي إليهم" .

التحول من النمط التقليدي الى النمط المعماري العالمي المقنن، طبيعة الهندسة المعمارية متناقضة مع الخيال المجتمعي حول ماهية المنزل (مفاهيم الفضاء). فهي مهملة للجانب الثقافي. في المنزل التقليدي مثلا "الحوش" وهو مكان للتجمع يرسخ القيم الثقافية. ان الهندسة المعمارية

[1] **Les grands ensembles, entre configuration spatiale et comportement humain** noufelbahri et ablarouag. 27

[2] **Les grands ensembles, entre configuration spatiale et comportement humain** noufelbahri et ablarouag. 29

[3] **المدينة الجزائرية وأثرها على تماسك العلاقات الاجتماعية التقليدي.** سليمان بومدين. 09

[4] **المدينة الجزائرية وأثرها على تماسك العلاقات الاجتماعية التقليدي().** سليمان بومدين. 08.

في المدن الحديثة هادمة لقيم المجتمع. [1]الجزائريون الذين خرجوا لتوهم من حرب استقلال ضروس، والذين عانوا قرن ويزيد من الاستعمار وضرب الهوية ووجودهم، هؤلاء الجزائريون الذين يبحثون عن هوية يجدون أنفسهم قاطني تجمعات سكنية تساهم في تغريبهم، وهنا الحاجة إلى الرجوع إلى أنثروبولوجيا الدار الجزائرية:

"خصيصة شائعة للتخطيط الحضري الرديء هي عدم القدرة للحصول على فهم كامل للحياة الثقافية العامة الرائجة والاستيطيقا الاجتماعية المعقدة للفضاءات الحضرية. [...] التطوير الذي يمزج أنثروبولجية الاستخدام الفضائي، أقدر على تخليق بيئة متنوعة، ديناميكية، وديموقراطية." [2]

اعتمدت الجزائر بعد الاستقلال نمط العمارة بخمسة طوابق (البناء الجاهز الثقيل). بدأت بمجموعات صغيرة، ثم كبيرة (400 الى 1000 مسكن)، ثم مناطق حضرية جديدة (1000-5000). المضمون الاجتماعي غير المتجانس لهذه السكنات القائمة على الفضاء المفتوح انعكس واقعا على المستوى الاجتماعي والثقافي والنفسي: ممارسات تعبر عن انفساخ اجتماعي، وتكدس الأفراد في حيز مكاني محدود.نظام الحومة يوفر تضامنا جغرافيا يعوزه نظام إعادة الإسكان الذي يجمع كل الفئات الاجتماعية معا مما يخلق حالة عدم انسجام داخل المدينة برمتها. [3]

المنازل الجزائرية التقليدية تعكس حالة تحفظ تجاه الخارجي (غياب/قلة النوافذ مثلا). مدخل البيت لا يؤدي مباشرة الى وسطه، بل يوجد رواق فاصل فيه ينتظر الزائر أن تخلي النسوة وسط الدار.[4]

سكان الحضر حاليا يستخدمون المدينة لكنهم لا يعيشون فيها. وهو قول يطابق الواقع الحضري الجزائري. ***"عندما وجد المهاجرون أبواب المدن مغلقة أو ضيقة، وقفوا على حدودها ولم يدخلوا بوابة التحضر ولم يندمجوا فيه".*** [5]

فشل سياسة تسيير المدينة، أدى الى جملة من النتائج منها المشاعر السلبية التي خلقت سلوكيات ذات أبعاد خطيرة. "هذه السلوكيات ترمز إلى حالة رفض التي يعاني منها الفرد في المدينة الجزائرية"[6]. النظام الحضري في الجزائر يقود الى تفكيك الروابط الاجتماعية والعلاقات التقليدية.

---

[1] **المدينة الجزائرية وأثرها على تماسك العلاقات الاجتماعية التقليدي().** سليمان بومدين. 10

[2] **Critical cultural studies a reader**. Ed justinlewis and tobymiller. Blackwell, 2003. 313-314.

[3] **المدينة الجزائرية وأثرها على تماسك العلاقات الاجتماعية التقليدي().** سليمان بومدين. 09

[4] المدينة الجزائرية 12-13.

[5] **المدينة الجزائرية وأثرها على تماسك العلاقات الاجتماعية التقليدي().** سليمان بومدين. 08.

[6]

التحضر الجديد لم يعرف كيف يحافظ على خصائص المدينة الاستعمارية، أدى إلى تجزئة الفضاء الحضري وتدهور في البيئة المعيشية في المناطق المحيطة، الجماعية أو فردية، غير المتصلة أو ضعيفة الاتصال بالمدينة.[1]

مشكلة بعث الأشكال التقليدية ليست مسألة شكل بل مسألة عمليات اجتماعية، مسألة تنظيم اجتماعي لصيق بمجتمع وثقافة معينة قضت.*المدن التقليدية وليدة الحاجة الفورية، بناءها حصل دون وسيط بين المستخدم والحرفي ودون فصل بين الاستعمال والشكل. [2] علم العمران الآن منسلخ عن الواقع والهويات المحلية. بمقدوره انتاج تجمعات حضرية متطابقة-بفضل نظرية عامة-في أي مدينة وأي مجتمع، لأن الهدف الرئيس هو التحكم الكامل في الفضاء المادي.[3]

هذه العمليات هي مصدر الخلط العام بين استيراد التكنولوجيا الحديثة واستيراد الثقافة الغربية. بشكل عام، أدى الانبهار بهذه التكنولوجيا إلى النقل غير النقدي لنماذج لتمثيل المدينة، مع نظام القيم الخاص بها. وبينما هناك تشكيك في براديجمات التخطيط في الغرب وصراع أفكار، فان التكاثر الأعمى لهذا النوع من الخطاب يستمر في بلادنا. إذا كانت الفترة الاستعمارية التي انتجت في الجزائر، باسم "الحضارة" فضاءً حضريا ونظام مجتمعه القيمي وثقافته، فان آثاره بعد الاستقلال خلفت تحديات كبرى. رمزيا، تجد ازدواجية المدينة الجزائرية تفسيرا لها في العلاقات بين أوروبا والعالم العربي، المسيحية والإسلام، والتي سيمثل "الاستعمار" فضائيا الفصل الأكثر راديكالية والأكثر عنفاً بينها.[4]

ان المدينة بهذه الصفة، لا تصير حاضنة للحضارة والثقافة، بل أنها تصير كما قال جمال علي الحلاق: ***"تنمو البنايات ولا تنمو العقلية أو الذائقة، بل ان استيراد المدن والمدنية يساهم في التسطح أكثر مما يدفع الى الغور في إعادة اكتشاف الحياة مرة ثانية وثالثة".***[5]

وإن كنا لا نشاطره بغضه للمدن كلها، ولأن العالم يتجه إلى تحضر طاغ. فاننا نرى رأيه ان كانت المدن مشوهة. المدن المشوهة تخلق انسانا مشوها.

[1]Sciences & Technologie D - N°37, Juin (2013). pp.39-50 © Université Constantine 1, Algérie, Juin 2013 L'IMPACT DE L'URBANISME COLONIAL SUR LA FABRIQUE DE LA VILLE ALGERIENNE CHAOUCHE Salah. 49

*المدينة التقليدية وليدة ظروف خاصة، ولا تحتمل أي تدخل مركزي او توجيه خارجي. نمط التنظيم التقليدي اختفى تحت تأثير فصل العمل الفكري والعمل اليدوي.تعدد ماوية سعيدوني ثلاث حجج لمن يحملون حنينا تجاه هذا النمط العمراني، ويرون فيه الطريقة المثلى لتشكيل الفضاء الحضري المعاصر. انظر

[2]Maouia. 32-33

[3]maouiaSaidouni. Eléments d'introduction à l'urbanisme (histoire, méthodologie, réglementation). Casbah éditions, Alger, 2000.P31-

[4]Sciences & Technologie D - N°37, Juin (2013). pp.39-50 © Université Constantine 1, Algérie, Juin 2013 L'IMPACT DE L'URBANISME COLONIAL SUR LA FABRIQUE DE LA VILLE ALGERIENNE CHAOUCHE Salah. 48

[5]جمال علي الحلاق. 27.

أنظر المدينة العتيقة، أنظر مثلا قصبة الجزائر، التي ولع بها لوكوربوزييه: ان كل شبر من المدينة مخطط بذكاء وحذق. يجمع بين الوظائف المادية والتأقلم مع الجغرافيا وبين الوظائف الرمزية والثقافية. المسالك الضيقة، تشابه المساكن الشديد-دون الوقوع في رتابة التطابق التي أعيت المدينة المعاصرة-الذي يرمز إلى وحدة الجماعة وتماسكها، وإلى قيمة التواضع والاحتشام. اتكاء المنازل على بعضها، لذا حين يسقط بيت فان الجيران يتكفلون بمساعدة المتضرر لإعادة بناء بيته، لأن سقوط بيت واحد يهدد البيوت الأخرى التي تثبت بعضها. العلامات على الجدران، رمز الثعبان ليدلل على الأحياء اليهودية، الهلال على احياء المسلمين، زهرة التوليب والهلال على دور الوجهاء والأعيان. دلالة الفضاء المبني على الترتيب الاجتماعي في بيوت الأشراف: سلالم الخدم البسيطة وسلالم أهل البيت المغطاة بالزليج الزهي. التنظيم الاجتماعي المنسجم انعكس في الفضاء الحضري المحكم. لا غرابة في أن المستعمرين ضلوا طرقهم وتاهوا في القصبة. لان هذه المدينة لم تبنى لهم. كما يعبر الأمر عن مدى بعد الثقافتين. يجب الكف عن استيراد النماذج التخطيط والعمارة الغربية والاستلهام من التراث دون طمع ساذج في بعثه من التاريخ كلية.

خاتمة

خاتمة:

"الاسفلت أو داء الثعلبة الذي يصيب الأرض، المدن شكل من أشكال التصحر على صعيد الشكل والمضمون... جدلية المكوث والذهاب، الموت الذي ينتصب كفضاء داخل التشكل المعماري للحياة، المقابر على مداخل المدن، كما لو أنها تستقبلنا بالأصول التي ذهبت" [1]

يبدو وصف جمال علي الحلاق، على مسحة التطرف التي تعتريه، ملائما لوصف المدينة الجزائرية.

ان خيار تناول المدينة كنص، ونظام علامات كما نظر اليه رولان بارت، خيار خطر. لأنه دخول في لعبة التأويل. ان هذا الخيار، استنطاق المدينة ودعوتها إلى الإفصاح عن "نفسها" الذي هو افصاحها عن ايديولوجية الفاعلين والصائغين والمشكلين لسياستها وعن ذوات مستخدميها. وان كان هؤلاء في تنازع دائم.

ان سياسة المدينة في الجزائر تبدو للوهلة الأولى واقفة لا تتجاوز عتبة البعد المادي الأول. تلبية للحاجات المبدئية الإنسانية. يبدو أن هذه السياسة لم تعر البعد الثقافي اهتمامها. يمكننا-بما انه البعد المضمر والثاوي-أن نحزر ما يتوارى ورائها من مقاصد. ويمكننا ان نسلم ان النتائج الثقافية قد أفلتت من ذهن صانع القرار.

ان تأخر صدور النصوص القانونية المتعلقة بالمدينة نفسه يرمز إلى إهمال شأن المدينة، تربة الحضارة وحاضنة الثقافة العالية. على حساب أهداف أخرى. ان ترتيب السياسات والقوانين المنظمة للفضاء الحضري له رمزيته أيضا،

التخطيط الحضري ليس مجرد فن تصميم المدن، ولكنه معرفة لكيفية نمو المجتمع وتغيره، إنها دراسة كيفية اختيار الحضارات تمثيل نفسها فضائيا، والعمليات الاجتماعية التي من خلالها تنشأ أشكال حضرية محددة.

المدن ليست مجرد حاويات مادية للعمليات الاجتماعية، هي تمثيلات رمزية للعالم الذي نعيش فيه، وتتطور تدريجياً عبر التاريخ. تجسد فلسفات وإيديولوجيات وأنظمة مفاهيمية كاملة.

التخطيط الحضري هو أداة سلطوية وكذلك طريقة مهمة للرقابة الاجتماعية. تشكل الفضاء الذي تتصارع الأيديولوجيات السياسية فيه.

نظرًا لأن كل عمل بشري محمل بالمعنى، فإن المساحات التي نعيش فيها مليئة أيضًا بالقيم الرمزية وتمثيلات الذاكرة الجماعية. في النهاية، يتعلق التخطيط الحضري بنقل المعنى الحضري في أشكال معينة. الفضاء المادي نتاج قوى خفية قوية وفعالة يمارس بدوره تأثيرات خفية وفعالة.

[1] جمال علي الحلاق. قلق المنفتح. 25.

المدينة الجزائرية تساهم في اعتقال الفرد وحبسه. تبقيه في بحث دائم عن أساسيات العيش. المدينة الفوقية الصورة الذهنية للمدينة في مقياس المستخدمين المدينة الجزائرية موطن مغر للفرص الاقتصادية وتحسين الحياة. لكن أيضا لمشاكل النقل والاكتظاظ والضيق.

باشر المستعمر سيطرته على الجزائري بالتحكم في الأرض والعقار، وعزز وجوده وعبر عنه بطرز معمارية عديدة، وسبقت قوانين التحكم في الأرض والعقار قانون المدينة بعقود بعد طرد المستعمر. تتحكم السلط في الفضاء لأنه امتداد للمجتمع. وان كان لأسباب مختلفة. المستعمر الفرنسي دفع إلى الملكية الفردية ليسهل الاستيلاء على الأراضي للمعمرين ولصالحها. أما السلطة السياسة ذات التوجه الاشتراكي فاستعملت الملكية الفردية وأممت بقية الأراضي لخدمة "الصالح العام" وأهداف الثورة الاشتراكية. ألم تكن المدينة قاسية على البروليتاريا بل ألم تكن الموطن الذي أوجد البروليتاريا ومعها البؤس والشظف والاملاق، التمدن والرأسمالية لصيقان. والاشتراكية نصيرة البروليتاريا ألا ترى في المدن محل الرأسمالية المتوحشة واصناف الاستغلال والاستلاب؟ ثم بعد التخلي عن هذا التوجه، والميل كيفما مالت الرياح الغربية، اتجه صانع القرار إلى النظام الرأسمالي الذي يرى من المدن أسواقها، يراها ماكينة صنع المال، ويقيس سياستها بالبعد الكمي على حساب الكيفي.

ألا يعبر عدم أصالة المدن وتغرب الفضاء الحضري، عن نزوع سياسة المدينة ودينها بمذاهب وليدة حضارة غير حضارتها، عن أزمة هوية المدينة التي هي في جوهرها أزمة هوية الجزائري. في النهاية يقول كارل يونج، "اننا لا نولد من نحن، بل نصير من نحن". صحيح أن الهوية تركيبة معقدة من الوعي واللاوعي ومن العناصر البيئية والبيولوجية-الجينات- والاستعدادات النفسية التي يعسر تجاوزها. إلا أن الهوية كذلك عملية في تحور مستمر. إعادة النظر الى رأس المال الرمزي في المدن، الذي يعود بالنفع على سكانها بتثبيت هويتهم والتماهي مع قيمهم المجتمعية مما يزيل عنهم حالة الاغتراب، والثاني اقتصادي الصبغة وهو بتشجيع السياحة وخلق علامة تجارية للمدينة الجزائرية. جاذبية المكان، من يريد الذهاب، علاوة على العيش في مكان يرتبط بالبعد، القبح، قلة الامن، قلة المرافق.

ما معنى ان يكون المبنى دون هوية، العمارة دون هوية.. كيف تكون لها هوية؟ هوية الفضاء تنبع من ذوات المستخدمين البنايات حقيقة موضوعية.. ما يعطيها معنى هو الإنسان... هل يوجد معنى دون وجود الانسان غياب أماكن التجمع واللقاء نوعية المحيط الفيزيائي تؤثر مباشرة على النشاطات البشرية الاقطاب الحضرية التي بنيت لتخفيف الضغط عن المدن لا ترقى لا تجعل من المدينة الجزائرية فضاء حضريا متعدد الاقطاب كما هو الحال في الدول المتقدمة. انها فضاءات بلا نوعية، تخدم مرامي فورية أهمها إيواء السكان.

يجب أن يكون صانعو سياسة المدينة واعين لمشاركتهم في العملية الأيديولوجية لإعادة إنتاج الفضاء الاجتماعي. وهذه واحدة من أهم المهام في المجتمع، لأن الفلسفات والأيديولوجيات لا تمثل نفسها بشكل تجريدي في بيئتنا ولكن في ومن خلال العمارة والفضاءات الحضرية.

الاستمرارية عامل حاسم في تطوير مشروع التجديد الحضري. لذلك عليك أن تعرف ما تم القيام به في الماضي للعمل في الحاضر والمستقبل. لعل بعضا من شفاء المدينة الجزائرية يكون بالعودة الى انثروبولوجية البيت الجزائري، والاستلهام منها.

ما تعلمنا إياه المدينة العتيقة الجزائرية من خلال تنظيمها الفضائي مهم للمشروع الحضري الجزائري، مع أن المشروع الحضري ليس عودة للمدينة العتيقة، بل استقاء منها لتحديث سياسة إنتاج الفضاء الحضري.

بالمقابل يجب تجديد الأدوات المنهجية وأدوات التخطيط من أجل الانتقال بمقروئية المدينة الجزائرية من معاني التية والتغرب إلى الإدراك والتبين. يتطلب تنفيذ هذا المشروع الحضري وجود ارادة حقيقية.

بالإضافة إلى ذلك، فإن المشروع الحضري يتطلب التكيف المستمر مع السياقات والتطورات والأهداف الجديدة. إنه جزء من أفق زمني.

ان أهمية علم السياسة، والحقل المعرفي للسياسات العامة تكمن بالضبط في تعدد تخصصاته. لأن الإنسان نفسه تركيبة أبعاد متعددة، ولأن المدينة نفسها تعددية.

قائمة المراجع:

الكتب:

باللغة العربية:

1. جمال علي الحلاق، قلق المنفتح، منشورات الجمل، ط1، 2014.
2. عدي هواري، الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي الاجتماعي 1830-1960، ترجمة جوزيف عبد الله، بيروت: دار الحداثة، ط1، 1983.
3. مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث الجزء3، الجزائر: مكتبة النهضة الجزائرية، 1964.
4. محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، الحداثة وانتقاداتها نقد الحداثة من منظور عربي-إسلامي، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2006.

باللغات الأجنبية:

1. Alexander R. Cuthbert ,The Form of Cities : Political Economy And Urban Design ,Blackwell Publishing, 2006.
2. Bill Hillier Julienne Hason, The social logic of space, New York : Cambridge UniversityPress, 2003.
3. Dallas Rogers and Adrienne Keane TooranAlizadeh, UnderstandingUrbanism, Jacqueline Nelson Editors, Palgrave Macmillan, 2020.
4. David Bell and Kate Oakley, Cultural Policy, New York : Routledge, 2015.
5. Deborah Stevenson, Cities And Urban Cultures, Philadelphia : Open UniversityPress, Maidenhead, 2003.
6. Gary Bridge and sophiewatson, A Companion To The City, Blackwell publishing, 2003.
7. Hervé Cellier et AblaRouag-Djenidi, Algérie France jeunesse, Ville et Marginalité,Paris : L'Harmarttan, Publié en Algerie aux éditions Chihab, 2008.
8. Jan Gehl, Life Between Buildings, Translated by Jo Koch, Washington DC : Island edition, Sixthedition, 2011.

9. **Jane M. Jacobs, Edge Of Empire : Postcolonialism and the city, New York : Routledge, 2002.**

10. **Jon Pierre, The Politics of Urban Governance, Palgrave Macmillan, 2011.**

11. **Joseph Courtés, La Sémiotique Du Langage, Paris : Armand Colin, 2007.**

12. **Justin Lewis and Toby Miller, Critical Cultural Studies a Reader, Blackwell, 2003.**

13. **Kevin Archer, The city : The Basics, Routledge, 2013.**

14. **Kevin Lynch, The Image of The City, the Massachusetts Institute of Technology and the President and Fellows of Harvard College Twentieth Printime, 1990.**

15. **M. Gottdiener and Leslie Budd, Key Concepts in Urban Studies. SAGE Publications. 2005.**

16. **Madeleine Pill, Palgrave Macmillan, Governing Cities Politics and Policy, Switzerland, 2021.**

17. **MaouiaSaidouni, Eléments d'introduction à l'urbanisme (histoire, méthodologie, réglementation), Alger : Casbah éditions, 2000.**

18. **Mogens Herman Hansen, Polis an Introduction to the Ancient Greek City-State, New York: Oxford University Press, 2006.**

19. **Nancy Kleniewski and Alexander R. Thomas, Cities, Change, and Conflict A Political Economy of Urban Life, New York : Routledge, 2019.**

20. **Peter J.M. Nas, Cities Full of Symbols A Theory of Urban Space and Culture, Leiden UniversityPress, 2011.**

21. **Robert Spizzichino, De La Ville En Politique, Paris :l'Harmattan, 2011.**

22. **Samir Amin, L'Économie Du Maghreb, La Colonisation Et La Décolonisation, Paris : Les Éditions De Minuit, 1966.**

23. Setha Low, Spatializing Culture The Ethnography of Space And Place, New York : Routledge, 2017.

24. Thierry Paquot, Utopies Et Utopistes, Paris : La Découverte, 2018.

25. Warren Magnusson, Politics of Urbanism Seeing Like A City, New York : Routledge, 2011.

26. Xiangming Chen (Ed), Introduction to Cities: How Place and Space Shape Human Experience, 2nd Edition, 2018.

27. Yves lacoste, La Question Post Coloniale Une Analyse Géopolitique, Fayard, 2010.

المقالات:

باللغة العربية:

1. بن صغير عبد المومن، "التشريع العمراني الجزائري بين صعوبة التطبيق وآفاق المواجهة التشريعية المستقبلية"، مجلة البحوث القانونية والسياسية، العدد 02، (2014).
2. زهرةأبرباش، "مراحل تطور ميدان العمران وإطاره القانوني في الجزائر من خلال قانون 11/ 10"، المجلةالجزائريةللعلومالقانونيةوالاقتصاديةوالسياسية، العدد 45، رقم 2.
3. ساسيمحمد، "أدوات التهيئة العمرانّية فًي الجزائر بّين الواقع وتحدّيات التنمّية المستدامة"، منشورات قسم علم الاجتماعوالديمغرافيا، العدد03.
4. شهرزاد سي مرابط، "إشكالات البنايات الفوضوية وأثرها على البيئة العمرانية"، مجلة الدراسات القانونية والسياسية، العدد 4، (جوان 2016).
5. عبد الحق بلعابد، "سيميائيات العمران بين العقل الشفاهي والعقل الكتابي"، مجلة أيقونات، العدد الأول، (2010).

باللغات الأجنبية:

1. **Boudiaf Bouzid. Les trois âges de la ville algérienne. In: Villes en parallèle, n°36-37, décembre 2003. Villes algériennes.**
2. **Carlos RecioDávila, « Les images de la ville, Une approche à la sémiotique urbaine », Penser la ville – approches comparatives, Khenchela, Algérie,(Oct 2008).**
3. **David harvey, « BetweenSpace And Time : Reflections On The Geographical imagination » Annals Of The Association Of American Geographers, Vol. 80, No. 3, (september 1990).**
4. **Jordi Jean-Jacques, « Alger 1830-1930 ou une certaine idée de la construction de la France », Méditerranée, tome 89, (1998).**
5. **Najet Mouaziz-Bouchentouf. Le mythe de la gouvernance urbaine en Algérie, le cas d'Oran. Penser la ville – approches comparatives, Oct 2008, Khenchela, Algérie.**
6. **Rebecca Zurier, « Whose Metropolis, Whose Mental Life ? RethinkingSpace and the Local inUrbanImagery », ComplementaryModernisms in China and the United States, (2020).**
7. **Sciences & Technologie D - N°37, Juin (2013). pp.15-28 Université Constantine 1, Algérie, Juin 2013 LA VILLE PATRIMONIALE ET LE RENOUVELLEMENT URBAIN. CAS DU CENTRE VILLE DE TEBESSA. Mr GHERZOULI LAZHAR1 , Pr. LABII BELKACEM28 .**
8. **Sciences & Technologie D - N°37, Juin (2013). pp.39-50 © Université Constantine 1, Algérie, Juin 2013 L'IMPACT DE L'URBANISME COLONIAL SUR LA FABRIQUE DE LA VILLE ALGERIENNE CHAOUCHE Salah**
9. **Sciences & Technologie D – N°49, Juin 2019 .9-20. © Université des Frères Mentouri Constantine 1, Algérie, 2019. LECTURE INTERPRETATIVE DU LANGAGE ARCHITECTURAL DES FAÇADES NEO MAURESQUE EN ALGERIE À travers quelques**

exemples d'édifices publics CHALABI Amina, LAZRI Youssef.

10. **Zane Miller, « Urban History, Urban Crises, and Public Policy », Urbanism Past &Present, No. 1 (WINTER 1975-76).**

المذكرات والأطروحات:

1. **فتيحة شمام، قانون المدينة في التشريع الجزائري، مذكرة ماجستير. جامعة سعد دحلب: كلية الحقوق، ماي 2012.**
2. **غواس حسينة، الآليات القانونية لتسيير العمران، مذكرة ماجيستير. جامعة منتوري قسنطينة: كلية الحقوق، 2011-2012.**

المواقع الإلكترونية:

1. **https://population.un.org/wup/**
2. **https://www.census.gov/programs-surveys/geography/guidance/geo-areas/urban-rural.html**
3. **Mapping the World's Urban Population from 1500 to 2050 (visualcapitalist.com)**
4. **PopulationData.net**
5. **الباحث العربي: قاموس عربي عربي (baheth.info)**
6. **Defining the City – Radius Global Cities Network**
7. **Beijing Population 2022 (Demographics, Maps, Graphs) (worldpopulationreview.com)**
8. **النمو السكاني في المناطق الحضرية (% سنوياً) - Algeria | Data (albankaldawli.org)**

المحاضرات العامة:

- **Najet Mouaziz-Bouchentouf, Histoire et politique de l'habitat en Algérie, Université des Sciences et de la Technologie d'Oran. Mohamed BOUDIAF, FACULTE D'ARCHITECTURE, DE GENIE CIVIL ET D'HYDRAULIQUE, DEPARTEMENT**

Histoire et politique de l'habitat en ,D’ARCHITECTURE Algérie, Octobre 2017.

الوثائق الرسمية:

1. الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 15.

2. Whatis a city? UN Habitat.